
حكاوى ..
أديب بالزور ..
عَبْدُ الوَهَّاب فتَّال

أديب بالزور ...

الطبعة الأولى - صدرت في شباط - فبراير ٢٠١٠
عن أوغاريت للنشر - لندن - المملكة المتحدة .

Ogharit Publications
29 Park Road London W4 3EY UK.
Email :alsharkaljadid1@gmail.com

حكاوي ...

أديب بالزور ...

لن أموت على الرصيف الأيسر ..

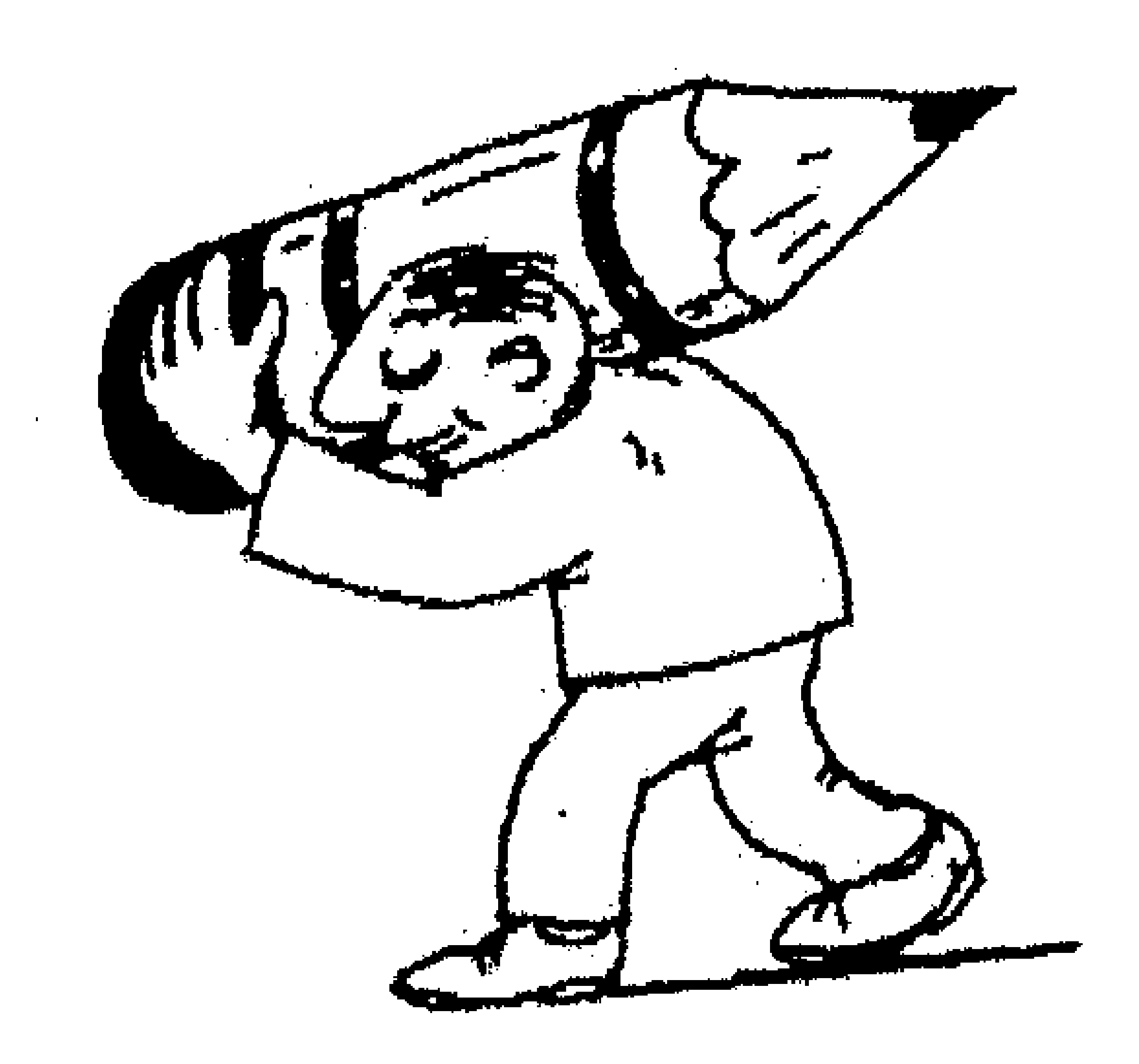
شقيقة جو – الآنسة ٩٩- تخاريف سجين..

القلب المرمري ..

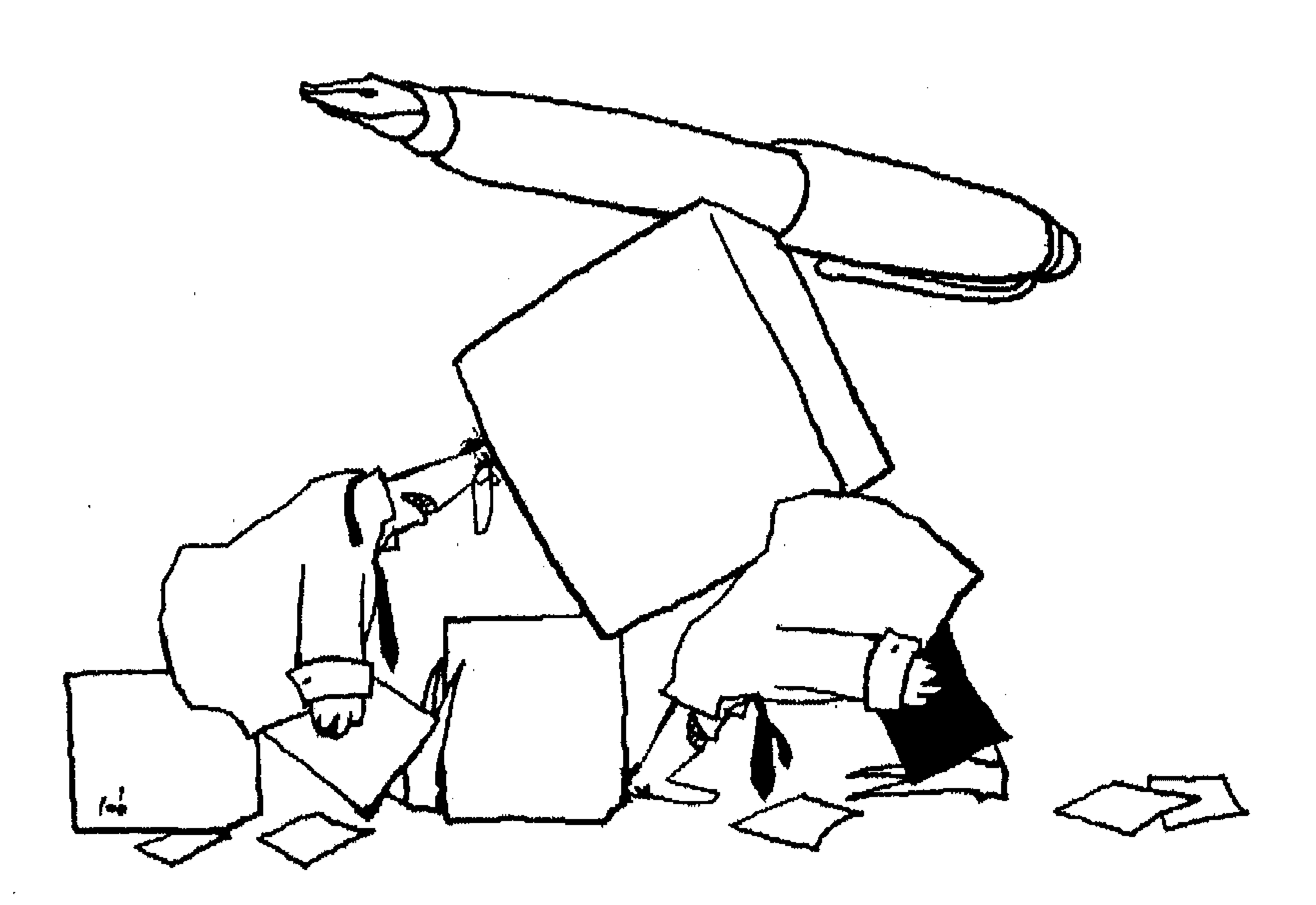
عبد الوهَّاب فتّال

مُقدِمَة ..

... تلك بعض قصص كُتِبَت ما بين أعوام ١٩٦٥ و١٩٦٦ .. باللغة العربية مرة .. وباللغة الإنكليزية مرة أخري .. وكان الهدف من كتابتها التَعَيُّش .. في ظروفٍ سياسية عسيرةٍ تحجب الرزق .. وحينذاك نُشرت في مجلتي الأحد والجمهور اللبنانيتين وجريدة الزمان اللبنانية أيضاً .. وأذيعت باللغتين العربية والإنكليزية .. من محطة الإذاعة العربية في لندن .. وال BBC WORLD SERRVICE .. كما أذيعت من محطة الإذاعة الألمانية في كولونيا .. ومحطة إذاعة هولندا في هيلفرسوم .. والآن ونحن في القرن الواحد والعشرين .. ومنذ العام ٢٠٠٩م .. أعمل للعثور على مزيد مما كتبت .. من القصص القصيرة .. منذ بدأت بكتابتها في أواخر الأربعينات من القرن الماضي .. وتمَّ نشرها في مجلتي الدنيا والفن والراديو الدمشقيتين وبعد ذلك في الجرائد الحلبية الوقت والحوادث والوطن والجمهورية والنذير .. والجماهير والشباب ومجلة السنابل .. إلا أن الصحافة مهنة المتاعب كانت قد تملكتني .. فكانت هجرتي من عالم القصة القصيرة إليها .. والآن إليها أعود مؤملاً أن تقبلني في بلاطها من جديد .. كمحارب قديم في ساحاتها .. بوعدٍ أقدمه لنفسي بأن أعثر على جميع ما كتبت من قصص .. من خلال البحث عنها في دار الكتب الوطنية في مدينة حلب .. التي تضم معظم تلك الصحف والمجلات .. وأن أعمل على كتابة الجديد منها .. مستعيناً بما اكتسبت من خبرات وتجارب .. خلال ما يقرب من ثمانين ربيعاً مَرَّت .. وبها سيكون لي لقاءات جديدة مع القارئ .. وإلى القصة الأولى ..



أديب بالزور ..




SHAKESP
TOLSTOY
WALT

أديب .. بالزور ..

... بعد أحد عشر عاماً من وقوع هذه القصة .. وأنا الآن في أوج تألقي في عالمي الصحافة والأدب .. أو هكذا ظنّي بنفسي .. بالبنان أعتقد أنه يُشار إليَّ .. وإليَّ تشرأب عيون الفاتنات من حفيدات السيدة الجدة حواء .. وكذلك أنظار الحاسدين والحاسدات من الزميلات والزملاء .. في دنيا الحرف والفكر والقلم والاشتهار .. وحولي من المعجبات والمعجبين .. ما يُشبع توقي الدائم المتزايد إلى الشهرة .. التي إليها سعيت جاهداً مُجهداً .. والتي إذ وصلت إليها مللتها وملتني .. وصارت نقمة عليَّ في بعض حين .. وما كانت نعمة دائمة أبداً .. إذ سلبتني الحرية التي يتمتع بها عامة الناس .. وجعلتني هدفاً مستهدفا للراضين والغاضبين .. من الناس الطبيعيين العاديين والرسميين .. وخاصة رجالات الأمن المتتبعين للنشاطات السياسية .. الموالية منها للسلطة أو المُتَسَلطة .. أو المعارضة للمُتَسَلِّطين .. وهذه حكاية أخرى .. تتفرع إلى حكايات وحكايات لها بدايات بدون نهايات .. والقصة هذه التي جئت أكتبها الآن .. بعد أن كنت أتستر عليها وأخفيها تبرؤاً وخجلاً منها .. والتي إذ أتذكر الآن وقائعها ومواقعها .. أضحك وأضحك من شغاف القلب .. وأترك كل ما أنا فيه من انشغال .. قد يكون أكثر من هام .. لأسعى إلى أحد هذه المواقع ..

التي وقعت فيها الحكاية مستمتعاً .. بتذكر ما كان قد أحنقني وأغضبني ذلك الحين . حتّى الآن أشعر بأنني لا أريد أن أسمح لنفسي .. بفهم النهاية .. التي آلت إليها هذه القصة .. إنما لا أملك إلا أن أضحك من سذاجتي .. هذا إن ترأفت نفسي بنفسي .. بإطلاق حكم السذاجة عليها .. وإن قسَتْ فلأصنف الذات بأنها بليدة غبية .. تصدر عن غرور وصلف وعنجهية .. كنت أظن أنها ثقة بالذات .. وما زلت أضحك .. أنا الآن أضحك بقوة .. شغاف القلب قلبي يكاد يتمزق ضحكاً .. حنجرتي تضيق بموجات صاخبة متلاحقة من القهقهات .. أنفاسي تتقطع حَتّى لتكاد تتوقف .. لتسلب مني الروح .. التي لا روح غيرها أمتلك .. الأمر الذي لو حدث لما تمكنت من إتمام رواية هذه الحكاية .. ولفاتكم أن تضحكوا حتّى الثمالة .. ولكان مصيركم ذات مصيري .. وهو الموت اختناقاً .. ولكن كيف سيكون مصيركم ذات مصيري .. إذا مُت دون أن أروي لكم القصة .. التي سوف تنهككم وتُهْلِكُكُم وتميتكم ضحكاً ..؟ أنا أحاول اقتناص سانحة من هدوء في الذات .. لأبدأ بالتنفس بانتظام .. ولأتَحَكَّم بالقلم الذي يرتجف بين أصابعي مُقهقهاً أيضاً .. وهو يتذكر معي ما كان قد حدث من أحداث تلك الحكاية .. أعصابي كلها تضحك .. كياني متوتر يسعى إلى بداية هدأة .. تتاح لي لأتم لكم هذا الذي أريد أن أكتبه لكم الآن .

... المهم ... كنت شاباً في مُقتبل العمر .. غضاً طري العود .. مُغرقاً بالإعجاب بنفسي .. جميل أنا .. لم أقلها أنا .. بل كل الصبايا من حولي يقلنها لي بطريقة أو أخرى .. أو هكذا يزعمن لغاية ما في نفوسهن .. وأمهاتهن إليَّ كُنَّ يتحببن ويتوددن .. لاصطيادي عريساً لبناتهن سوف يُحْسَدْنَ عليه .. لو أفلحت عملية الاصطياد .. التي كانت تشمل التقرب من السيدة الوالدة والسيدة الجدَّة رحمهما الله .. اللتان لطالما كانتا تحذراني من الفخاخ التي كانت تُنصب لي .. وتوضع في طريقي لإيقاعي .. والقرد في عيون أمه وجدته أيضاً غزال .. كما يقول المثل السوري المعروف .. قوي أنا .. طويل أنا .. أجلب الأنظار بأناقة فريدة أتمتع بها .. تُبْدِعُ الغريب العجيب المثير من الأزياء .. التي أستعرض نفسي بها .. وأختال عجباً بالذات الفريدة باعتقادي .. شعري أسود لمَّاع .. في ترتيبه وصقله .. والمبالغة في تلميعه بالدهون الباريسية .. لم يبق منه حتى الذكريات.. حذائي كشعر رأسي اسود متموج اللمعان .. وخاصة تحت شمس الربيع الدافئة .. أقمشتي أشتريها من أغلى محلات البلد .. وأشهر الخياطين من أتعامل معهم لخياطتها .. ليكون ما ألبس لا يلبس مثيله أحد غيري .. رابطات عنقي طبيعي أن تكون مستوردة من باريس .. وكذلك عطوري التي لا يجب أن تُستنشق أو تُشم إلا من السيادة سيادتي أنا .. فالمُهم عندي إلا أستعمل شيئاً يستعمله غيري ..

لحيتي .. هي طويلة كالفرشاة الآن .. كنت أحلقها ثلاث مرات في اليوم .. ولربما أكثر إذا اقتضت الضرورة الجمالية .. ولا أبرع مني في الحديث عن نفسي كما ترون .. مُمِلٌ أنا برأيكم الآن .. وفي كلِّ آن أليس كذلك ..؟ إنما هذا هو الواقع الذي يجب أن أنقله بأمانة تامة .. إلى الورق الذي يعاني تحت وطأة قلمي . دوماً كنت أمشي خُيَلاء مُعجباً بذاتي .. شامخ الرأس مُتعالياً على عباد الله .. الصالح منهم والطالح .. إذ المهم عندي هو التعالي .. وليس مهماً على من يكون ذلك التعالي .. أسخر من كل الناس .. وليس مهماً ممن تكون السخرية .. فأنا ابنُ جلا وطلّاع الثنايا .. متى أطِلُّ بأناقتي ووسامتي تعرفوني .. ومعذرة من الحجّاج بن يوسف الثقفي الشهير .. صاحب هذه الخطبة الشهيرة في التاريخ .. كان معروفاً بحزمه وعزمه .. ودمويته في التعامل مع شعب العراق السوري العباسي .. ورفقه ولطفه وترؤفه مع الشعب العراقي السوري الأموي .. وأنا شهير أيضاً .. والشهير به يُقتدى ولا يُنتقد . نائل خاصمته لأنه انتقد لون معطفي .. هذا الجاهل لا يفهم في الأناقة وتناغم الألوان .. فارس زميل الطفولة ورفيق الشباب .. صفعته أمام ملأ من الناس .. لأنه أمام هذا الملأ من الناس نعتني بالتفاهة .. وقال أن الأناقة والتفاهة صنوان متلازمان .. يقول ذلك التافه أن المهم هو الجوهر والمخبر وليس المظهر .. غير مُدْرِكٍ أن المظهر هو أول ما يجذب النظر .. وهو

الدرب للوصول إلى المخبر والجوهر..ولكنه ـ فارس ـ ساخراً قال أن إهدار الوقت بإظهار المظهر .. يترك الجوهر والمخبر .. في حالة بؤس وفقر شديدين .. يجعل منهما أتفه من التفاهة .. بربكم ألا يستحق مني الصفعة .. التي طبعتها على خده الأيمن .. ؟ لكن المؤسف أنه لم يَتَمَثَّل بقول السيد المسيح بن مريم عليه السلام .. ولم يدر لي خده الأيسر .. بل واجهني بقبضة يده اليمني .. ثُقَبِّل مقدمة وجهي .. وأنفي على وجه الخصوص .. وكانت قبلة دامية الصفات .. شَوَّهَت خلقتي لعدة أسابيع بما خَلَّفته من آثار لم تدم .. كما آثار مدينتي حلب الشهباء الدائمة .. والتي يقول الأثريون .. أنها قائمة هذه الأيام .. فوق أكثر من مائتي مدينة مندثرة .. سوف يكشف التنقيب عنها .. في الزمن المقبل .. ليزيد في قيمتها الحضارية الإنسانية العالمية .. ليست هذه هي الحكاية الآن .. إنما حكاية فارس الذي إذا صدق افتراضاً بأنني تافه بأناقتي .. فهو على ما أرى أكثر مني تفاهة .. إذ رد على صفعتي بصفعة .. إذاً أين المنطق الذي هو نفسه يقول .. أنه القوة الحقيقية للإنسان .. بل أنه أقوى من القوة .. ولطالما كان يردد قول أبي العلاء المعَري .. الرأي قبل شجاعة الشجعان .. هو أولٌ وهي المحل الثاني .. أما أنا فأعتقد بأبي تَمَّام الهمام الذي يقول .. السيف أصدق إنباءً من الكتب .. في حَدِّه الحدُ بين الجد واللعب .. وصفعتي له على وجهه كانت بين

الجد واللعب .. أما صفعته فكانت جادة فقط أدمت أنفي .. والحكاية الأهم في حكايتنا هذه .. فؤاد الذي لا يحترم تواجدي العظيم في المجالس .. بل يتخذ مني سخرية .. يُضحك بها الآخرين مني .. ويسألني بكل وقاحة أن أضحك مما يُضحك المجلس عليَّ .. ياله من وغد .. وفؤاد هذا هو الوحيد الذي أصبر على لسانه اللاذع .. وهزئه بي وسخره مني .. لأن حَلَقتَهُ تضم دائماً صبايا فاتنات مشرقات .. رغم أنه ليس وسيماً ولا أنيقاً .. إنما هو مُجَرَدَ صحافي يظهر في صبيحة كل يوم .. بمقال على الصفحة الأولى .. من جريدة "الجرائد" .. يتناول فيه بالنقد الصريح القاسي .. حتّى السيد رئيس الجمهورية .. مخاطباً إياه باسمه المُجَرَّد .. إنه صاحب سطوة مرهوبة ونفوذ مُخيف .. إضافة إلى ذلك فإنه يكتب قصائد الغزل والوطنية .. وهو كذلك خطيب ومُحاضر .. إلى محاضراته يجتمع كبار أهل الفكر والدبلوماسية والمجتمع والاقتصاد أيضاً .. ومثله طالما تمنيت أن أكون .. ولكن لماذا لا أكون .. لماذا التوقف عند حدود التمني .. تلك الفتاة الشقراء سمعتها تهمس مرة .. في أذن صديقتها الفاتنة السمراء .. أنها تحلم وتتمنى لو أن فؤاد قال فيها قصيدة .. أو حتّى مجرد بيتين من الشعر .. وهذا يكفي ليجعل منها نجمة من نجمات المجتمع .. الغبية لم يلفتها ما أنا عليه من فتنة ووسامة وأناقة .. بل لفتها فؤاد بشعره وشخصيته الأدبية .. التي قالت أنها

آسرة .. دائماً تضحك له ويبادلها الابتسام بتكلُف .. وعندما أبتسمُ أنا لها لا أحس أنها تشعر حتّى بوجودي .. بل أنها إذا تَصَادَفَ ووقع نظرها عليَّ .. فإنها سرعان ما تتحول بنظراتها عنّي غير عابئة بي إلى أي شيء آخر .. وهذا ما كان يُحنقني ويُغيظني .. وعندما مددت لها يدي ذات مرة مصافحاً .. شعرت أنها مدت إليَّ يدها بقرف ولا مبالاة .. قليلة الذوق إذ تعجب بفؤاد .. بشعره المنكوش ولحيته النامية .. وشاربيه الأشعثين .. وحذائه الوسخ وقميصه المُقطَّع الأزرار .. هذه الفتاة لا تأبه بي .. لأن ما تهتم به موجود في فؤاد وليس متواجداً عندي .. وكذلك حال أخريات من بنات جنسها .. والحال ذاك فالأمر يتطلب مني إعادة النظر بالذات العلية .. والعمل على إجراء تعديلات تطويرية .. والسعي لامتلاك ما لا أمتلك إضافة إلى ما أمتلك .. وما لا أمتلك هو ما يمتلكه فؤاد .. من وسائل إغراء ليلى تلك ومثيلاتها .. وما أسهل أن أفعل ذلك .. فالأمر بسيط جداً .. بضعة أقلام وأوراق .. واختلاء بالذات لبضع ساعات .. وكتابة ما يجول في الخاطر .. واستعراض ما يمر بالمرء من أحداث .. وإعطاء رأي حادٍ صارمٍ حازمٍ فيها .. أليس هذا ما يفعله فؤاد .. أما عن العواطف والشعر والغزل .. فالمسألة بسيطة جداً .. وهي نقل العواطف والمغازلات والتأوهات المعهودة في دنيا الحب والغرام .. من الشفهي إلى التحريري .. ففي الامتحانات التي اعتدنا تأديتها

شفهي وتحريري .. وليست مشكلة والحال هذا .. أن تُصبح أديباً وشاعراً على وجه الخصوص .. فالموازين الشعرية والقوافي .. لم تعد مشكلة أيضاً .. إذ مع الحرية التي هي حديث الزمن الحالي .. صار كل شيء حراً .. وما دام يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره .. فقد أجاز من أجاز .. الخروج عن موسيقى الشعر العمودي.. إلى ما سمي بالشعر الحر أو الشعر المنثور .. وهذا ما قررت أن أفعله .. إذ لا أملك من الوقت ما يُتيح لي التمكن من بحور الشعر إياها .. والتعامل مع حانوت السيد أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي.. بما فيها من علم العروض الذي ابتدعه وأسسه ليرهقنا به .. وفيه ألّف القواميس والمعاجم .. والنحو الذي عنه أخذه السيد سيبويه الفارسي..والفراهيدي ليس عربياً وكذلك سيبويه.. وهما من أبدعا وابتدعا علوم النحو والإعراب والعروض..التي هي أساس من أسس البلاغة.. فلماذا لا أكون أنا من يبتدع شيئاً جديدا..في ميادين الأدب والشعر خاصة والصحافة أيضاً.واعتزلت في عِلّية من دارتنا..تشرف على بستان تزقزق فيه الأطيار..متراقصة تتنقل ما بين أغصان الأشجار.. تحط على أحجار في قلب السواقي التي يتدفق فيها ماء زلال .. تعب بمناقيرها ما يروي ظمأها..ويطفئ فيها لهب شهر تموز الحارق .. بينما النسائم الرقيقة تتسلل برقة ونعومة بين الأغصان تلامسها..مصدرة

نغمات هي موسيقى الطبيعة .. تبز الإبداعات الموسيقية البشرية وأساطينها الكبار .. هذا الكلام وحده قصيدة تتحدى حتّى قصائد شاعر العرب الأكبر عمر أبو ريشة . وإلى العِلّيةِ التي اعتليتها في بيتنا .. حيث مكتبة السيد الوالد .. التي يسكنها ممن يسكنها .. أرسطو وسقراط والمتنبي وطه حسين .. وأحمد شوقي وفطاحل أدباء الجاهلية والإسلام .. والقارات الخمس في جميع العصور والأزمان .. والمترعة بمبدعي الحضارات بدءاً من الصين .. التي الوصول إليها يبدأ بخطوة .. كما كان يردد دائماً السيد الوالد رحمة الله عليه إذ يقول.. إن الرسول الكريم محمد عليه أفضل الصلاة والسلام .. قال لنا اطلبوا العلم ولو في الصين .. مروراً بحضارات الهند وروحانيتها واليابان .. والإغريق والسوريين القدماء الكلدانيين والآشوريين .. والحثيين والسومريين .. وحضارات المصريين وحكاوي الأنبياء والمرسلين .. ماذا أكثر من ذلك أحتاج إليه .. لأكتب ما لا يستطيع فؤاد أو غير فؤاد أن يكتبه .. وبعيداً عما يشوش الذهن أو يُشتِتُ الانتباه .. بدأت بتحبير صفحات الأوراق التي أمامي .. متحدثاً .. نسيت أن أخبر بأن القلم الذي استعمله .. هو من نوع باركر ٦١ ..الذي لا يستعمله إلا كبار الكبار من الناس الأثرياء .. وهو ليس من متيسرات الأدباء البؤساء الفقراء .. وخاصة الذهبي الذي بين أصابعي .. وهو من علامات رجال السلطة الاقتصادية

خاصة .. رأيت رئيس غرفة التجارة والصناعة في حلب يستعمله .. وأمثال فؤاد من الناس العامة .. لا يحلم حتّى بمجرد التفكير بإمكان امتلاك مثيله .. أو حتّى التمتع بالنظر إليه .. الأمر الذي يجب أن يكون معلوماً .. لكل اللواتي يتحلقن حول فؤاد من الفاتنات .. والورق الذي تحت يدي أكتب عليه .. هو الأزرق الفاتح الحالم الذي عليه أرد عادة .. على الخطابات الغرامية التي تأتيني بالحبر الأخضر .. الذي به يخط قصائده شاعر الشباب نزار قباني . بعد الذي سأكتبه وأنشره .. سأضع نزار قباني في جيبي الخلفي الصغير .. جلست وراء المكتب الفاخر المصنوع من خشب الأبنوس .. كما يجلس الأديب الكبير سعيد تقي الدين .. بالمناسبة هو يجلس إلى مكتب عادي غير فاخر .. وكفي الأيسر على جبيني ويُمناي تمسك بالقلم .. وريشته قريبة من الورقة الزرقاء .. وبدأت بالكتابة إذ هكذا يفعل كل الكبار .. من أمثال نعيمة والمازني وحافظ وجبران وبرنارد شو .. والسيد شكسبير وكل الفطاحل العظام .. وأنا أحدهم بالطبع إن لم أكن أفضلهم .. بعد ساعة من الزمن .. استطعت أن أكتب قصيدة .. الوزن غير مهم طبعاً .. فهي شعر منثور .. والفكرة في الشعر المنثور غير ضرورية على الإطلاق .. لأنه ليس شعراً تقليدياً فات زمانه .. فالتحديث يجب أن يفرض ذاته .. حتّى لا يكون هناك أي مقارنة بين العتيق البالي ..الذي أكل الزمان عليه

وشرب .. وبين الجديد الذي لم يُبْصَر له شبيه من قبل .. لأنه إبداع وابتداع .. إنه الجمال يتجلى في أحرف تتجمع في كلمات .. ليس من المهم أن تكون مفهومة .. لتعطي الحرية لقارئها .. لكي يفهمها بالطريقة التي يريد أن يفهمها بها .. فنحن في زمن النضال من أجل التحرر الكامل والحرية التامة .. وأول ما يجب أن نمارسه من هذه الحريات .. حرية الفهم كما نشاء ونريد .. لا كما يريدنا أن نفهم السادة الكُتَّاب .. وعلى رأسهم بطبيعة الحال .. صاحبنا فؤاد ذاك الذي يغيظني ويُحنقني .. طريقتي الحرة في الكتابة .. سوف تقضي عليه وعلى أسلوبه التسلطي .. الذي يفرضه وأمثاله على عقول القارئات الجميلات خاصة .. والقراء بشكل عام .. ودعونا من المرفوع والمنصوب .. والفعل والفاعل والمفعول به والمفعول المُطلق ولأجله ومعه .. إنها مجرد تُرَّهات وسخافات .. وأدوات استعراض وتفاخر .. لا يفهمها حتّى الذين يستعرضون أنفسهم بها .. ويُقدمون على ممارسة هذا الشيء .. الذي يُسمونه الصرف والنحو .. لأنهم على يقين بأن أحداً لن يفهمه .. ليناقشهم في كونه خطأ أو صواباً .. بصرف النظر عن كوني الآن الأديب الشاعر الكاتب .. أنا فيلسوف أيضاً .. ومن غيري يجرؤ على تحدي أهل المجامع اللغوية .. والمعاجم والقواميس .. والكتاب والصحافيين والمؤلفين .. الذين يُنَصِّبون أنفسهم

أوصياء على فهم الناس .. ويُعيِّنون ذواتهم لهم مرشدين .. ألا يدخل ما أقوله الآن في مجال الفلسفة .. ألم يتكلم أفلاطون بنفس الأسلوب الذي أكلمكم به .. وهو في كلامه ذاك فيلسوف .. وأنا على ذلك فيلسوف بكلامي أيضاً .. وفؤاد ذاك إذا كان قد أفلح باجتذاب الانتباه .. بكونه صحافياً وأديباً وشاعراً .. فإنه لم يستطع ولن يستطيع أن يكون فيلسوفاً مثلي .. وكما ترون لقد اكتشفت هذه الموهبة عند نفسي الآن .. وأنا أحدثكم وأتحدث إليكم .. صحيح أن هذه قصيدتي الأولى .. إنما سأتبعها بقصائد ومواضيع وحكايات وتحقيقات وأبحاث .. والبدء سيكون بإرسال هذه القصيدة .. إلى جريدة " الجرائد " التي تنشر لفؤاد مقالة في كل صباح .. سأواجهه مُتَحَدِّياً في عقر جريدته .. ولا ريب أنني سوف أهزمه هزيمة منكرة .. تجعله يختفي من المجتمع الذي هو فيه .. خجلاً من هزيمته .. ولكن كيف أوصل القصيدة العصماء إلى السيد رئيس التحرير .. لأبهره بالعبقرية الوليدة .. التي ليس لها أي مثيل .. في البريد .. ؟ لا طبعاً .. ستستغرق أياماً لتصل والأمر يتطلب السرعة .. فالقراء لا يجب أن يبقوا في الانتظار هذا الوقت الطويل .. ليستمتعوا بنتاج العبقرية الوليدة الفذة .. التي ستقلب موازين الأحكام .. في دنيا الأفكار والأقلام والكلام .. ولذلك كان قراري .. إرسال القصيدة بحبرها المُعَطَّر .. بعطر الياسمين الفرنسي الأخضر .. الذي

أستورده عادة كما تعلمون من باريس .. والذي به تكتب ملاحظاتها .. نجمة السينما الفاتنة بريجيت باردو .. وأوراقها الزرقاء الحالمة .. ومظروفها الأقل درجة في زرقته الذي احتواها .. القرار هو إرسالها مع سائقي الخاص .. بلباسه الرسمي وسيارتي الفارهة الخاصة .. التي لا مثيل لها في مدينتي حلب .. وربما في كل سوريا .. وقد فعلت وأوصيت السائق .. بإحداث ضجة عند وصوله قرب مقر الجريدة .. للفت الأنظار إليه وإلى السيارة .. بلونها الوردي الزاهي الجميل .. وأن يُصِر على تسليم الرسالة باليد شخصياً .. إلى رئيس التحرير .. وأن يقول للسكرتيرة بأنَّ المرسل شخصية كبيرة جداً .. لا يستطيع الإعلان عن أسمه .. إلا للسيد رئيس التحرير .. والسائق .. سائقي .. تَعَوَّد تنفيذ تعليماتي حرفياً وبدقة مُتناهية .. خوفاً مِن فقدانه المُرَتَّب الكبير الذي يتقاضاه .. لذا فالرسالة القصيدة لا ريب وصلت مع الإجلال والاحترام والتبجيل والتقدير .. إلى الأستاذ رئيس التحرير .. بعد دقائق من خروجها من صومعة العبقرية الفذة .. الحق وحده دون سواه أقوله لكم عندما أعْلِمُكم .. أنني لم أنم ليلتها .. والحكاية أن مبنى إدارة الجريدة عتيق .. يعود تاريخ بنائه إلى أوائل القرن الثامن عشر .. وهذا يعني أنه مُتْرَع بالصراصير والفئران .. ترعى في الشقوق التي أحدثها الزمن فيه .. أنا لا أهتم بصحة المبنى إنما

اهتمامي بافتراض خطرٍ .. يُعَرِّض الرسالة القصيدة لهجوم .. من قبل قطعان الصراصير والفئران .. طبعاً أملك منها نسخاً مكتوبة على الآلة الكاتبة .. وأستطيع أن أزود رئيس الحرير بها إذا اقتضى الأمر .. إنما الأمر الأهم هو تأخر وصول القصيدة إلى القارئ العزيز .. مما لا يجب أن يحدث .. والذي يقلقني أكثر أنني أريد أن أرتدي كل أناقتي في صبيحة الغد .. وأدخل بها المقهى الذي فيه يجلس فؤاد .. وحوله تتحلق الفتيات والمعجبون والمعجبات .. لأسلب منه هذا الذي به يُغيظني دائماً ويُغضبني .

.. وفي الصباح .. الصباح الباكر جداً .. كان سائقي يقف أمام دكان بائع الجرائد .. القريبة من دارتنا حيث أكداس الجرائد اليومية والمجلات .. تُرمىَ أمامها على الرصيف بعد بزوغ الفجر بقليل .. بانتظار صاحب الدكان ليباشر عمله .. وحتّى يكون سائقي أول من يلتقط عشرة نسخ من جريدة " الجرائد " .. وعلى صدر صفحتها الأولى القصيدة العصماء إياها .. وبعد انتظار له استغرق عشرات من الدقائق .. حسبتها دهراً كاملاً .. دخل سائقي غرفة مكتبة السيد الوالد التي فيها كنت أجلس بانتظاره .. وبيده رزمة جرائد واعدةٍ بتغير كوني .. في دنيا الأدب والشعر الحر المنثور .. فتناولتها منه وفتحت واحدة منها على صفحتها الأولى .. ونظرت ثمَّ نظرت ونظرت ودققت ..

ثمَّ ثانية دققت وعدت ونظرت ودققت .. مقال لفؤاد على صدرها واسمه بحرف كبير أعلاه .. ولا أي أثرٍ أو حتّى مُجرد تنويه .. عن قصيدتي قصيدة العبقرية الفذة .. ولو كتمهيد تشويقي للقارئ العزيز .. ليستعد لاستقبالها في صبيحة اليوم التالي .. هذا شيء غير معقول .. غير مقبول .. كيف يمكن أن يحدث ذلك .. ذلك هو السؤال الذي طرحته على نفسي .. محاولاً أن أجد جوابه .. كان السائق يقف أمامي مستأذناً بالانصراف .. أين تنصرف يا هذا .. لمن سلمت الرسالة القصيدة .. هل أخذها أحد منك غير رئيس التحرير .. هل تأكدت أن الذي استلم منك الرسالة رئيس الحرير نفسه .. ما شكله .. ما لونه .. ماذا كان يلبس .. هل كان أشعث الشعر أنكش الشاربين.. هل هو بين الطول والقصر .. الشك كان قد تسرب إلى ذاتي .. بأن الذي استلم الرسالة من السائق .. هو فؤاد وليس رئيس التحرير .. وإنه هو الذي غيَّب القصيدة وتسبب في عدم نشرها .. حتّى لا تطغى عليه وتمسح ذكره من الوجود ككاتب وأديب .. انهمرت أسئلتي كالسيل على السائق المسكين .. الذي أكد لي بأن الرسالة القصيدة العصماء .. قد تسلمها رئيس التحرير بالذات .. وإنه قد دخل عليه في غرفته .. وقرأ اسمه على اللوحة الموجودة على مكتبه .. وهو ذات الاسم الموجود في رأس الجريدة .. وإنه لا مجال لأي خطأ ولا إمكانية لأي تخمين أو شك .. وإنه سأل

السكرتيرة الدخول على رئيس التحرير .. وذكر لها اسمه فأدخلته عليه .. أين الخطأ إذن ..؟ لا خطأ إنها مؤامرة من فؤاد الخائف على موقعه في الجريدة كصحافي وأديب .. ورئيس التحرير الذي هو في ربيعه الثمانين .. والذي شوهد أكثر من مرة .. في مجلس فؤاد الذي تغلب عليه العناصر الأنثوية .. يحاول الاستظراف للفت الأنظار إليه .. وما دام الأمر كذلك يقيناً .. فإن الاستقلال والاعتماد كلياً على الذات .. الدرب الوحيد للوصول إلى الهدف .. الذي هو في المصلحة العامة التي لا يجب أن تُحرم من إبداعات السيادة وعبقريتها .. والقرار إذن الاعتكاف والانكباب على الكتابة والتأليف .. والخروج بكتاب يُتْبَعُ بكتب .. تسيطر على أسواق الكتب .. فالكتب تدوم أبداً .. أما الصحف فعمرها ينقضي مع انقضاء النهار .. وبعدها تضحي لا أكثر من ورق يؤوي منتجات العطارة .. والأسماك واللحوم والأحذية وما ماثل ذلك .. والأمر يحتاج إلى البدء الفوري بالتنفيذ .. وإلا ضاعت على الوطن والمواطن .. فرصة التفاخر أمام العالم .. بأديب كبير سيحصد كل جوائز الدنيا الأدبية بمختلف أنواعها ..

. اتخذت الاستعدادات اللازمة للإقامة الطويلة .. في غرفة مكتبة الوالد .. وأمرت بعدم الإزعاج .. ووقف الدخول على الجناب العالي .. ووضع الطعام عند الباب صبحاً

وظهراً ومساء .. وإلى مكتب السيد الوالد جلست وبدأت العمل .. طائراً في سماوات الأفكار محلقاً في دنيا الإبداع .. سابحاً في عوالم الخيالات والتخيلات .. أكتب وأكتب مسوداً الصفحات .. التي كانت تتزايد وتتراكم أمامي ساعة بعد ساعة .. نسيت الأناقة وطال شعر اللحية وأوقفت عمل الهاتف .. ولم أقرأ رسالة واحدة من الرسائل المعطرة وغير المعطرة التي كانت تردني .. حتّى أضحت أمامي برجاً عالياً على سطح المكتب .. ونظرت ذات لحظة إلى تاريخ اليوم الذي أنا فيه .. فإذا بأكثر من شهر من الزمن قد مرَّ عليَّ .. وأنا في محبسي هذا .. لا آكل إلا بعد الإحساس بالجوع الشديد .. ولا أنام إلا بعد إرهاق ما بعده إرهاق .. وعلى المكتب كثيراً ما غفوت لساعات .. استيقظت بعدها لأواصل العمل .. غير عابئ بالمعاناة التي أنا فيها .. فالمسألة مسألة تحدٍ بالدرجة الأولى .. تحدٍ من أجل المصلحة الكونية العامة .. واللذة لا تُنال إلا بعد التعب .. وكلما نظرت إلى أكداس الورق التي كتبتها .. أدركت أنني قاربت الوصول إلى قمة المجد والاشتهار .. غداً أو بعد غدٍ سيُشار إليَّ ليس ببنان واحد .. بل بكل بنان .. وسيُقال هذا هو العبقري .. ولينسي الكون أندريه جيد ومارك توين ومكسيم غوركي وهمنغواي وتولستوي ..

.. أنا اليوم راضٍ عن نفسي كل الرضا .. فكل شيء جاهز لانطلاق قطار العبقري الفذ .. ليبدأ مسيرته عبر المطبعة .. لإعداد كتابي العظيم.. وإطلاقه في الأسواق المحلية بادئ ذي بدء .. حيث إليه ستلتفت الأنظار .. وسيحظى بانتباه النقاد والمقرظين .. وسوف تتناوله الصحف والمجلات بالاستعراض .. وستبادر الكثرة من المترجمين .. من طرق بابي مستأذنة بترجمته إلى الفرنسية والإنكليزية .. والسنسكريتية والسواحلية .. ومعظم لغات الدنيا الحية .. ولن آبه طبعاً بالعائد المادي لتلك الترجمات .. إنما سوف أخصصها لإنشاء جائزة أدبية باسمي .. تمنح للمُجَلّين من الأدباء والفنانين والعلماء والباحثين .. السيد نوبل صاحب الجائزة الشهيرة ليس أحسن مني .. ولا السيد أوسكار أيضا .. صاحب الجائزة التي تمنح في عالم الفنون السينمائية على ما أظن .. كما أن مردود بيع الكتاب .. سوف يُخصص كمعونات للأدباء الذين غدر بهم الزمان .. وأنهكتهم الشيخوخة .. ولم يدخروا شيئاً من كد شبابهم لرعاية شيخوختهم .. وكما ترون أنا إنساني أسمو على ذاتي وأهوائي .. وأطماعي وأفكر بالآخرين .. ولا عجب .. فأنا عظيم وهذه بعض سمات العظماء .. وبكل ثقة بالنفس والاعتداد بالذات .. بدأت يومي مُتَرَيضاً في بستان منزلنا .. مسترخياً أمتع البصر بالخضرة والماء .. وحفيف الأشجار .. وما تصدره عندما تداعبها النسمات .. من ألحان السماء ..

أقطف تفاحة من هنا أقضمها .. وتلك تينة ناضجة ألقمها .. ومن ماء الجدول الزلال .. أغترف بعضه بكَفّي أغسل وجهي وأبل ريقي .. من حقي بعض راحة واسترخاء .. بعد حوالي شهر من الإرهاق .. لإخراج العبقرية من سجنها التي كانت تكمن فيه .. وكانت خيوط الشمس الذهبية تتسلل من خلال الأشجار .. تداعب مرة عيني اليمين .. وكرة أخري عيني اليسار .. تنبئني بما عليَّ إنجازه ذلك النهار .. لن أوكل الأمور بعد اليوم لخادم أو سائق أو مساعد .. بل سأقوم بالعمل بنفسي حتّى لا يتسرب إليَّ أي شك أو التباس.. كما حدث عندما أرسلت الرسالة القصيدة .. مع السائق إلى رئيس تحرير جريدة "الجرائد" .
عدت إلى غرفتي في المنزل .. استحم وأستعد بارتداء كل أناقتي .. متطيباً بعطوري .. متأبطاً فيض عبقريتي .. منطلقاً بسيارتي المر سيدس الأنيقة .. إلى حيث أشهر وأغلى وأفخم مطبعة في البلد .. وعلى صاحبها دخلت بدون استئذان .. ولا سلام ولا كلام أيضاً .. دخولي عليه وسائقي ورائي .. وسكرتيرتي تفسح لي أمامي الطريق بخطواتها المتسارعة .. والضجة التي كان قد أحدثها وصول سيارتي .. أمام مبني المطبعة .. أمور لفتت إليَّ أنظار من في الشارع .. وأنظار بواب العمارة ومن حوله فتقدموا يساعدون في إفساح الطريق .. وكان صاحب المطبعة مشدوها .. وهو يراني أجلس على الكرسي المقابل

لمكتبه .. فينهض بكل حيرة وإجلال واحترام أيضاً .. يرحب بالقادم الذي لا يعرف لماذا قدم .. ولماذا دخل بهذه الطريقة الاستعراضية .. ومن هو أصلاً وماذا يريد .. إنما أنا متأكد أنه عرف وأدرك أنني شخص هام جداً .. ومعه كل الحق في ذلك .. فأنا العبقري الهمام .. الشاعر والأديب الذي لا يشق له غبار ولا تُطفأ له نار .. وأمامه طرحت محفظة أوراقي .. التي تحتضن فيض قريحة عبقريتي .. وبجدية الجد كله .. وبصوت جهوري هادئ رزين .. قلت له .. أريده في عشرة أيامٍ جاهزاً .. زاهياً أنيقاً رقيقاً .. ينبئ بما فيه من أدب راقٍ رفيع.. لا بد أنك تعرف ديوان الشاعر نزار قباني " طفولة نهد " .. في طبعته الأولى بعظمتها وألوانها الزاهية الأنيقة .. أريد كتابي أزهى وأرق وأكثر جاذبية .. وبدون كلام من صاحب المطبعة أمسك بالمحفظة .. يقرأ مقلباً أوراقها .. واستغرق دقائق ربما في هذا الوضع .. ثم رفع رأسه ونظر إلي وقال .. ما هذا .. ؟ وكنت حينذاك أخرج من جيبي خمسة أوراق مالية جديدة .. من فئة المائة ليرة .. وكان ذلك مبلغاً محترماً من المال .. وأطرحها أمامه بمقابل محفظة أوراق العبقرية .. غير معقول هذا الذي أقرأ .. إنها قصة رائعة مكتوبة بأسلوب ولا أرقى ولا أمتع ولا أجمل .. قال صاحب المطبعة .. وبدهشة نظرت إليه ولم أقل له أنها ليست قصة .. وليست رواية .. وليست سيرة وليست قصيدة ..

وليست دراسة .. وليست كل هذا من أنواع الآداب والفنون .. لأنها شيء جديد غير مطروق في عالم الأدب .. ولم أغضب عندما صنّف ما كتبت في عالم القصة .. هو فهمها هكذا وغيره سيفهمه شعراً .. وثالث سيضعه في خانة الأساطير .. والإبداع الحقيقي أن تكون لا شيء وكل شيء في آنٍ معاً .. وأنا في تصوراتي وتخيلاتي هذه .. لم أغفل عن عيني صاحب المطبعة .. تداعب أوراق المائة ليرة السورية الجديدة .. التي كانت مستلقية بدلال غادة حسناء .. إلى جانب أوراقي على الطاولة .. تمنحها قوة لا تقاوم في عالم المادة .. المسيطر على عالمي الكون والكائنات .. الاحتمال الآخر أن المحترم صاحب المطبعة .. لم يفهم شيئاً مما قرأ هذا إذا كان قد قرأ .. إنما الليرات السورية الجديدة هي التي أنطقته بما نطق .. وكل ذلك غير مهم الآن .. المهم أن نتاج العبقرية الفذة .. يجب أن يُجمع في كتاب .. يتداوله الأغراب والأحباب والأصحاب .. وخاصة حفيدات السيدة الوالدة حواء .. غفر الله لها بما سببت لنا من متاعب .. بإغرائها السيد الوالد آدم بأكل التفاحة المحرمة إياها .. لتُنْزِلَنا من نعيم الجنان .. إلى عالم التعب والآلام والأحزان . كيف تريد حجم الكتاب .. سأل صاحبنا .. بحجم ديوان نزار قباني "طفولة نهد" أجبت .. من الحجم الكبير بحروف كبيرة .. كي لايُرْهَق بصر القراء .. والألوان .. أي لون تريده يتغلب على

ألوان الغلاف .. سؤاله الثاني .. والجواب .. اللون الأزرق لون السماء التي بها يتلون الماء .. الأهم أن يكون الكتاب جاهزاً بين يدي القراء .. بأسرع ما يمكن من وقت .. سأوقف كل الأعمال في المطبعة .. وسأجعل الكل يعمل في إنجاز كتابك هذا .. وهذا يترتب عليه كلفة إضافية .. ثلاثة آلاف ليرة سورية فوق هذه الخمسة التي أمامي .. وسيكون الكتاب بين يديك .. بعد ثلاثة أيام ولا أكثر .. هذا كلام جميل .. ومددت يدي إلى جيبي الداخلي .. وأحصيت ثلاثين ورقه من ذات المائة .. من رزمة تعد مائة .. وأخرجت يدي ممسكة بها .. ونقدته إياها زيادة في تحميسه وتشجيعه .. ليكون بكليته مع عملي .. وليس مع أي عملٍ آخر يُشغله عن الاهتمام بي وبكتابي .. فأخذها وراح يعدها مستمتعاً بعَدِّها .. مؤكداً لي أن العمل سينتهي الخميس .. والاثنين كان اليوم الذي نحن فيه .. ليس هذا فقط .. قلت لصاحب المطبعة .. الذي قال لي أنه ناشر باعه في دنيا الترويج ولا أطول .. قلت له إنني أريد أوسع ترويج لصدور كتابي .. إرساله إلى كافة الصحف والمجلات .. والتلفزيونات والإذاعات .. في كافة العالم العربي .. أريد مؤتمرات صحافية تُعقد للتحدث عن محتوياته الثمينة .. أريده في أيدي باعة الصحف المتجولين .. كما في صدور المكتبات وفي أي دكان يرتادها مرتاد .. وأنا أتحدث إليه أخرجت بضعة مئات من الليرات السورية

وضعتها أمامه .. إضافة إلى ما كنت قد دفعته له آنفاً .. فازداد الرجل حماسة .. وبدأ فوراً باستدعاء الرسامين والخطاطين .. وجامعي الحروف .. فالطباعة ما كانت قد توصلت حتّى إلى الحروف الرصاصية المصهورة .. وأمام هذه الحماسة الطاغية من الرجل .. خرجت من مكتبه راضياً مطمئناً .. مُتَّجِهاً إلى المقهى المعتاد .. الذي فيه يتجمع أهل الفنون والآداب .. يتسامرون ويتبادلون الأفكار والآراء .. لا لأشاركهم سمرهم ذاك .. بل لألقي نظرة أخيرة على صاحبنا فؤاد .. قبل انتهائه كأديب بعد صدور كتابي العتيد .. إليه نظرت وقد التف حوله من التف .. من المعجبات والمعجبين إضافة إلى المنافقين .. ممن يطبلون له ويزمرون .. والذين هم مع من يدفع لهم الأكثر .. ومع مَنْ منافعهم عنده أوفر .. هؤلاء جميعاً سوف يتحولون ابتداء من الخميس القادم باتجاه آخر .. باتجاهي أنا نجم المستقبل الدائم .

.. كانت لحظات تلك التي أمضيتها أرقب ذلك الفؤاد .. بحنقٍ واعدٍ بالتشفي منه بدءاً من الخميس المقبل .. كل هذا الذي يحيط به من مظاهر التفوق سوف ينتهي .. غادرت بعدها إلى دارتنا .. مرتاحاً إلى المستقبل الآتي .. بانتظار الخميس التاريخي .. الذي سوف يغير كل الموازين .. ويعيد توزيع التوجهات .. ونمت هنيئاً عميقاً بعد أن أكلت هنيئاً مريئاً..وما أحلاها الأحلام التي

أقبلت تداعبني في منامي .. والتي لا ريب سوف تتحقق .. بالبوادر التي أرى أنها تنبئ بذلك التحقق .. وتمنيت لو أن الزمن اختصر ذاته وانقلب إلى الخميس .. ونسى الثلاثاء والأربعاء .. وباعتبار أن تلك الأماني لن تتحقق رضيت بالواقع الذي أنا فيه .. وهو وجوب الصبر والانتظار .. حتّى كان وانقضى الليل وجاء النهار .. وأعقبه ليل أشرق عليه نهار استقبل ليلاً انتهى .. فكان الخميس الموعود المنتظر .. نسيت أن أسأل صاحب المطبعة .. عن الساعة التاريخية في ذلك الخميس .. التي سيسلمني فيها النسخة الأولى من كتاب العبقرية الفذّة .. لا بأس سأسأله بالهاتف ولن أقلق نفسي بانتظار جديد .. متى التسليم يا صاحبنا .. التسليم اليوم بعد الرابعة عصراً .. في فندق النجوم الحمر .. في مؤتمر صحافي توقع فيه النسخة الأولى .. وتوقع نسخ الهدايا التي ستوزع على رجال الصحافة .. يعقب المؤتمر حفلة تكريم أقمتها أنا لكم .. وسوف تتكلف خمسة آلاف ليرة سورية فقط لا غير .. طال عمركم .. لا بأس قلت له على الهاتف .. سأدفع لك التكاليف قبل الحفلة فلا تقلق .. الشكر كل الشكر لكم يا سيد الأدباء .. لم انتظره ليكمل حفلة النفاق الذي بدأها إنما أخبرته قبل إن أغلق سماعة الهاتف .. أنني سأكون في فندق النجوم الحمر في الموعد المحدد .. وقد وفيت وحضرت بعد الرابعة عصراً بثلثي ساعة .. كعادة

العظماء في التأخر .. وكان حشد الصحافيين والمنافقين المُعَدين إعداداً متقناً .. ينتظرني في مظاهرة صاخبة أمام باب الفندق الخارجي .. ودخلت محاطاً بذلك الحشد الذي كان يهتف باسمي مقترناً بلقب العبقري .. أقسم بالله العظيم أنني لا أبالغ .. إنما أرسم الصورة تماماً كما وقعت في حينه .. ودخلت مرفوعاً على الأكتاف والأعناق .. وهناك في الداخل كانت عدسات المصورين .. والسائلين والسائلات من الصحافيات والصحافيين .. ومن المعجبات والمعجبين .. يحملن ويحملون من الكتاب نسخاً .. يتقدمون بها إلى الجناب العالي الذي هو أنا .. يطلبون التوقيع عليها لتبقى لأولادهم وأحفادهم ذكري يتذكرونها على مرِّ أجيالهم .. أنا إذن عن جدٍ .. شخصية أسطورية مهمة جداً .. وطالما أنا بهذه الأهمية الشعبية .. فلماذا لا أرشح نفسي للانتخابات النيابية .. فأصبح نائباً في البرلمان .. ومن ثم في موعد الانتخابات الرئاسية لماذا لا أرشح نفسي لمنصب الرئيس .. رئيس الجمهورية .. هل الرئيس أكثر فهماً وعلماً مني أنا عبقري العباقرة .. كل ذلك كان يدور في مخيلتي وأنا في وسط هذه المظاهرة من ناس لا أعرفهم ويبدو أنهم يعرفونني .. دون أن أدري أنهم يعرفونني .. أنا ابن جلا وطلّاع الثنايا كما قال الخالد الذكر .. الحجّاج بن يوسف الثقفي .. في ذلك الفجر الذي وصل فيه إلى العراق.. وخاطب أهله بعدما

أرخى اللثام الذي به كان يتلثم .. والحكاية معروفة لا شك في ذلك .. الحقيقة والحقيقة وحدها أقول .. أنا لا أعرف أحداً من هؤلاء الناس .. وهم الحقيقة كل الحقيقة لا يعرفونني .. ولم يسمعوا حتى باسمي .. إنما مدير المطبعة الذي هو ناشر أيضاً .. يعرف كيف يهيئ لعمله .. ويُروج لتفاهات على اعتبار أنها معطيات إبداعية .. هكذا الأمور تسير في مختلف الحقول .. فالدنيا كلها زيف والشاطر يُقنع الناس بزيفه .. ويسمون هذا علاقات عامة .. هكذا صار فؤاد نجماً من نجوم الصحافة والأدب .. وأنا في ذات الطريق .. والفرق بينه وبيني أنني عبقري وهو أقل من شخص عادي .. هو قد يقول عني ذات الكلام .. وسيكون له ذات الرأي عندما يتعرف عليَّ .. بالمناسبة هو قد يعرفني بالوجه .. كمرتاد لذات المقهى الذي يرتاده .. وقد لا يتذكرني إذا كان قد عرفني .. ليس مهماً أن تكون عبقرياً مبدعاً معطاء .. إنما المهم أن تُقنع من يجب أن يقتنع .. أنك ذلك العبقري المعطاء المبدع .. بمظاهرات من هذا النوع الذي أعتقد أن الناشر صاحب المطبعة قد برع فيه . أشعر بأن يمناي قد كَلّت وهي توقع على نسخ الكتاب للمعجبين والمعجبات .. دون وعي لما أفعل .. فقد كنت في دوامة تخيلاتي الطموحة إياها .. التي منها عدت إلى الواقع المُسر الذي أنا فيه .. ورأيت الذات تعي ما حولها .. كمّ الجميلات اللواتي في الحفل كان

ملحوظاً .. وهذا بعض ما أطمح أن أستزيد منه .. تعبت أي والله تعبت .. وهذا بعض ضريبة إدمان الاشتهار .. ولكن الحكاية الآن .. ليست ما صرت إليه من تطورات .. سوف أعمل للوصول إليها .. فالحياة كما هو معلوم .. أحلام خلق الإنسان ليحلم بها وليعمل على تحقيقها .. وإلا فإنه سيظل مراوحاً مكانه .. وهذا النوع من فئات الناس .. هو الذي إليه يجب أن نلتفت لنعينه على الحياة .. وله تستحق الزكاة .. التي ليست منحة منا أو منة عليه .. إنما هذا الذي لا طموح له .. هو وسيلة الأذكياء للوصول إلى الإثراء .. والوسيلة يجب أن تُراعى وتُحمى .. ليستمر الطامحون في السمو والارتقاء .. وذلك بالدرجة الثانية لصالح الفقراء .. وبالدرجة الأولى لمصلحة الأغنياء .. والأغنياء يغتنون بأموال الحلال .. وما جُمِع مال من حلال قط .. قول رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام .. كان قد قيل في الأثرياء .. أعود للقول أن الحكاية حكايتنا .. ليست هذه الآن .. إنما حكاية المقهى والبنات وفؤاد .. والتفاخر والاستعلاء والخيلاء .. إذ من أجل ذلك كان البدء .. ومن أجل ذلك يجب أن تكون النهاية .. وبعد ذلك تبدأ حكايات جديدة من أجل نهايات أخرى ..

... مُرهقاً خرجت من حفل فندق النجوم الحمر .. إلى سيارتي أرتمي على المقعد الخلفي .. وإلى جانبي كان الناشر

قد وضع في السيارة رزمة من كتابي .. كتاب العبقرية الفذة بغلافه الزاهي الأنيق .. ووسط مظاهرة المعجبين تحيط بالسيارة .. تهتف باسمي وتُصفق لي .. انطلق السائق بي وقبل أن يسألني إلى أين التوجه .. بادرته بالقول .. إلى البيت بأسرع ما يمكنك من اقتدار .. وذلك قبل أن أغمض عيني .. مستسلماً لإغفاءة لم تتركني إلا عندما وصلت إلى البيت .. وجاء السائق يهزني برفق .. طالباً مني الاستيقاظ .. لقد وصلنا يا سيدي .. سيدي لقد وصلنا .. إلى البيت قد وصلنا يا سيدي .. لقد سمعته من المرة الأولى .. ولكن لم أكن أملك القدرة على الاستيقاظ للرد عليه .. لم أكن أريد الغفوة تتركني .. فقد كانت ملجأ ناعماً رقيقاً .. استرخيت فيه ناسياً كل شيء .. إلا رغبتي بالنوم إلى ما لا نهاية .. وأدرك السائق ما أنا عليه من تعب .. فمد يده آخذاً بيدي يعاونني على ترك السيارة .. وكنت بين اليقظة والنوم .. والذي أريد أن أقوله .. أنني صحوت من نومي لأجد نفسي في سريري .. ونوافذ غرفتي مفتوحة .. ولا أثر لنور النهار يخترقها .. والساعة إلى جانبي كانت تشير إلى الواحدة .. ليلاً بالطبع ولم ألاحظ أن اليوم كان الأحد .. وفي الصباح أدركت أنني نمت من مساء الخميس .. حيث انتهى الاحتفال .. وحتى صباح الأحد .. ورزمة من نسخ الكتاب .. كتاب العبقرية الفذة مستلقية على طاولة قربي .. تناولت نسخة أتصفحها بألوانها الزاهية .. والرسوم الجذابة

التي تُطِلّ من صفحاتها .. معجباً بالعناية التي تم التعامل بها مع عبقريتي .. إذ كانت الفرصة الأولى التي تسنت لي .. للنظر في الكتاب وإلى الكتاب .. ونهضت أتهيأ للاستمتاع بحصاد اليوم الموعود .. الذي هيأت له كل عناصر الإنجاح .. ومن أجل ذلك النجاح .. بذلت الكثير من الجهد والمال أيضاً .. وارتديت كل أناقتي وغروري .. واعتدادي بذاتي .. وخرجت متبختراً بكل الخيلاء التي تمكنت منها .. ولما فتح لي السائق باب السيارة لأمتطيها إلى المقهى .. الذي سأشرفه بزيارتي .. بعد المجد الذي صرت فيه بصدور باكورة أعمال عبقريتي .. أشرت إليه بأنني أفضِل السير إلى المقهى من امتطاء السيارة .. فأنا مؤلف متواضع .. ومن ثم فإن المشي رياضة ينصح بها الناصحون .. الأدباء والكتاب أمثالي .. من الذين يضطرون للاستغراق مدداً طويلة وراء مكاتبهم .. ينفحون العامة بفيض عبقريتهم .. وفي الطريق إلى المقهى كنت أتعمدّ المرور بالمكتبات التي تصادفني .. ومراكز بيع الصحف .. ادخلها متفقداً ما على رفوفها من محتويات الكتب .. بحثاً عن كتابي الثمين .. الذي من المفترض أن يتصدرها .. بعض هذه المكتبات كان يعرضها بشكلٍ أرضاني .. والبعض الآخر ألقاها مهملة بلا ترتيب ودون عناية .. بين باقي الكتب والمجلات .. الأمر الذي إليه يجب أن يتنبه الناشر .. من أجل مصلحة جيبه أولاً .. ومن ثم من أجل مصلحة

القارئ .. الذي يجب أن يعرف عن فيض العبقرية ليستفيد منها .. وإلا فإن المجتمعات لن تُبنى وسوف تبقى في ركود دائم ..

جلست في المقهى كما لم أجلس من قبل .. أركبت رجلي اليمنى فوق اليسرى .. فاحتجت اليسرى وصرخت تحتج على سيطرة اليمين وتحكمه غالباً باليسار .. فأركبت اليسرى على اليمنى .. فقالت اليمنى أنا من أهل الميمنة واليسرى من أصحاب المشئمة .. وهي في النار وأنا في الجنة .. وهل يستوي أهل الجنة مع أهل النار .. ومن ثم هذا ليس مساواة .. إنما هو تعدٍ غير مقبول ولا معقول .. من اليسار على اليمين .. وصاحت اليسار بأن الزمن هذا زمن خروتشيف وستالين ولينين .. وليس زمن المتعفنين .. من بقايا القدماء الأولين .. الذين لا مكان لهم في دنيا العالمين .. هراء هذا الذي يجري فنحن لسنا الآن في حكاوي اليسار واليمين .. إنما في الداخلات والداخلين .. والنادل الذي أكثر من مرة .. تعثر بمجيئه وذهابه برجليَّ الاثنتين .. اللتين مددتهما إلى أبعد من الطاولة التي إليها أجلس .. ولا عجب إذ أتبهنس كما تبهنس الليث .. بمواجهة مُهر حبيب فاطمة بشر بن عوانة العبدي المذعور أمام الليث من الليث .. فكان أن صاح به بشر غاضباً .. عُقرتَ مهرا .. وأنشد ..
أفاطم لو شهدت ببطن خبت ... وقد لاقى الهزبر أخاك

بشرا .. إذ لرأيت ليثاً أمَّ ليثاً ... هزبراً أغلباً لاقى هزبرا...تبهنس إذ أحجم عنه مهري ... محاذرة فقلت عُقرت مهرا .... أنل قدمي ظهر الأرض إني ... رأيت الأرض أثبت منك ظهرا .. ولا مجال للخوف الآن .. فأنا فارس الفرسان وسيد أدباء الزمان .. وباسمي يجب أن تتحدث الركبان .. وفخر ما بعده فخر لذلك النادل .. أن يتعثر بقدمي العبقري الهمام .. الأمر الذي حدث له أكثر من مرَّة .. لماذا لا يتعثر .. يجب أن يتعثر .. لأن التاريخ سوف يذكره بهذا التعثر برجلي جنابنا العالي عبقري العباقرة .. وما كانت إلا بعض ساعة .. حتّى كان حولي على طاولتي معارف أقول .. ولا أقول أصدقاء إذ الصديق نادر في كل زمان من الأزمان .. وبعض الملتفين ما كنت أعرفهم ووجوههم غير مألوفة لدي .. غير مهم فالعظماء يجتمع حولهم من لا يعرفونهم إضافة إلى من يعرفونهم .. وعلى طاولتي .. قلت للنادل بصوت مسموع .. أن جميع الطلبات من المشروبات والمأكولات .. على حسابي أنا .. ومحظور عليه تقاضي أي قرش من غيري من الذين يجلسون إلى هذه الطاولة .. لماذا هذا الكرم .. سأل من الجمع سائل .. إنه احتفال بصدور كتابي كتاب العبقرية الفذة .. يعيش العبقري .. يعيش ألف يعيش ويعيش .. صاح من الحضور حاضر .. وبعده ردد من ردد صياحه .. قلت مصححاً الصائح .. قل يحيا ولا تقل يعيش .. فالعيش عيشة..مجرد عيشة..والكل على هذا

الكوكب يعيش قبل أن يموت .. وقليل هو من يحيا .. ذلك أن الحياة شيء متفوق على العيش .. والحديث في هذا الجمع كان طبعاً عن كتابي .. طالما أن كافة نفقات الجلسة على حسابي .. والإعجاب كان بالكتاب طبعاً .. وليس بكرمي الذي تحدى كرم كريم كرماء العرب والعجم .. السيد حاتم الطائي .. كما قال واحد من الجلساء حول الطاولة .. وبالنسبة إليَّ فقد كنت أتحدث بفصاحة وإسهاب وترفع .. عن مولد العبقرية في ذاتي العظيمة .. كيف اكتشفت تلك العبقرية استوضح مستوضح .. وجوابي كان تلقائياً .. إنه الوحي كان يتنزلُ عليَّ بالنفحات .. أسجلها وأنا بين المنام واليقظة .. ولاحظت واحداً يجلس بعيداً مني .. كان يغالب إظهار ابتسامة سخرية .. تريد أن تنطلق عريضة من بين شفتيه .. إنه الحقد والحسد والغيرة مني .. شأنه لا ريب ذات شأني يوم كنت أغار من فؤاد إياه .. لن أعيره التفاتاً تماماً كما كان فؤاد يفعل معي .. إنه ما كان حتّى يشعر أنني أغار منه .. أو أحسده أو أحقد عليه ..

. قابلت اليوم تلك الفتاة الشقراء الفاتنة .. التي طالما تمنيت التفاتا ولو بسيطاً منها .. وما فعلت أبداً .. هذه المرة رأيتها تُقْبلُ عليَّ من بعيد .. وعلى وجهها ابتسامة مشرقة تصافحني بحرارة .. وكانت بالأمس القريب إذ أمدُّ لها يدي مصافحاً .. كانت تمدُّ يدها إليَّ غير

مبالية .. وما أكاد التقط يدها لأصافحها .. تمهيداً لبدء حديث معها .. حتّى تسحبها وتنسحب هي بعيداً عني .. ولم تُشغلني الحرارة الحارقة التي أحسست أنها تبديها إزائي .. عن ملاحظة تواجد كتابي الرقيق الأنيق .. مُطِلاً من حقيبة يدها الجلدية التي كانت تتأبطها .. إنه كتاب رائع يا أستاذ .. لا .. إنك أستاذ الأساتيذ .. هذا ليس كتاباً .. ليس رواية ولا ديوان شعرٍ .. وليس قصصاً قصيرة أو طويلة .. ليس تأريخاً للماضي .. ولا تنبئاً بالمستقبل .. ولا حديثاً عن الحاضر .. إنه شيء يختلف عن كل ما يمكن أن يُسمّى أو سُمِّي في عالم الكتابة والتأليف .. في الماضي والحاضر والمستقبل أيضاً .. كان بودي أن أحدثك طويلاً عن هذا الموضوع .. الذي هو موضوع المواضيع لكن ذلك لا يمكن أن يكتمل هنا في هذا اللقاء العابر .. في جو المقهى الذي نحن فيه لأن الأمر يحتاج إلى هدوء وراحة .. ليكون هناك استرسال .. لقد اشتريت الكتاب بخمسة ليرات سورية .. وسأحله في المرتبة التي تليق به من مكتبتي .. لم تقل لي أنها تريد مني أن أكتب فيها شعراً أو نثراً كما قالت ذات مرة لفؤاد ذاك .. لكنها طلبت مني بكل جرأة الأنثى الواثقة من ذاتها .. أن أدعوها إلى الغداء بأسرع ما يمكن .. لأن عندها ما تريد أن تنهيه إليَّ .. يا لفرحي وغبطتي .. أين هو ذلك الفؤاد ليرى ويسمع .. كيف صار اندحاره موصوفاً ومشهوداً ومسموعاً أيضاً ..

الساعة الثانية بعد ظهر الغد موعدي معها .. في مطعم فرنسي الوجبات .. والطعام الفرنسي كالحب الفرنسي إيحائي بأنواعه .. يتكلم بنكهته لغة رقيقة معبرة .. أنا الذي اقترحت المطعم ذاك .. كعامل تحريض لها على رومانسية فرنسية .. بموسيقاها الحالمة التي يعزفها عازفو ذلك المطعم الشهير .. سوف ألتقي بها .. سوف تجلس إلى جانبي أنا عظيم العظماء في عالم الأدب والأدباء .. فتكيل لي المديح والثناء .. وترسل في أذني كلمات الغزل الرقيق إيحاء وإيماء .. ذلك أن خفر الأنوثة وحياءها .. يحول دون التصريح الصريح .. هاته التي ما كانت تأبه حتّى بمجرد النظر إليَّ .. غداً سوف يتغير كل شيء وسيكون يوماً تاريخيا لا ريب .. والشرف الكبير لها قطعاً .. إذ ستحظى بصحبة عبقري العباقرة الذي هو أنا . وفي الموعد المحدد .. بالدقيقة والثانية كانت تقف أمامي بكل بهائها وفتنتها وعطرها النافذ الأخاذ .. والحقيقة أقول لكم .. ما كنت أظنها ستجيء .. وكنت في قلق من انهيار كل الترتيبات .. التي أعددت لها وبذلت ما بذلت لتحقيقها .. ومررت بها كما سبق وأخبرت عنها .. إنما الحقيقة أنها الآن أمامي في المطعم إياه .. وكنت إليه قد سبقتها .. وأجريت بعض الترتيبات اللازمة .. لجعل كل مسئولي المطعم .. يدركون أنني شخصية هامة مهمة .. يجب أن تعامل بمنتهى الاهتمام والاحترام أيضاً .. وقفت أحييها ماداً يمناي أصافحها شاداً بنعومة على كفها ..

جاذباً إياها إلى المقعد الذي إلى جانبي .. قبل أن تجلس في المقعد الذي هو أمامي .. كنت قد خططت لذلك قبل حضورها .. في حساب مني للتطورات المتوقعة .. بعد السلام والكلام .. وذوبان الجليد .. وازدياد التمازج .. بعد الخروج من دائرة كتاب العبقرية الفذة .. أمور مثيرة وفيرة كثيرة تصورت أنها ستحصل .. ولهذا كان اجتذابها لتجلس إلى جانبي وليس أمامي .. كانت وهي تدخل المطعم تخطر بدلال متوجهة إلى طاولتي .. كأنها تخطو على شغاف قلبي .. والمهم أنها جلست أو أنني أجلستها إلى جانبي .. ولما تأكدت أنها الحقيقة .. وإنني لا أحلم أو أتوهم .. وإن الانتصار المؤزر قد ارتفعت رايته .. وأصبح قاب قوس واحد أو ربما نصف قوس أو أدنى .. ناديت النادل بكل ترفع وعنجهية .. وبدأت أملي عليه ما يجب إحضاره من المآكل والمشروبات .. وجئت استرسل في الطلبات .. عندما قاطعتني بغنج ودلال .. تُعلمني أننا هنا لما هو أهم من الطعام والشراب .. إننا هنا من أجل الكتاب هذا الكتاب .. وأشارت إلى كتاب العبقرية الفذة .. الذي كان يُطل بكل أناقته ورقته .. من حقيبتها الجلدية الفاخرة .. لكنني كنت أريد أن أبذخ .. لأستعرض تفوقي على الأخ حاتم الطائي .. لكنها قررت وأمرت أن نطلب ما سنأكل .. فليس في الأكل استعراض .. قالتها بصوت خفيض .. شعرت من خلاله أنها بدأت حفلة تسلط وسيطرة وتَمَلك .. لا بأس فلتكن البداية

لها تتصرف بها .. إنما النهاية ستكون من صنعي أنا عمر بن ربيعة هذا الزمان .. في دنيا العشق والعشاق والغرام والهيام .. الطعام ليس مهماً .. لنسد جوعنا يكفينا بعض الحساء .. وصحن من المعجنات .. وثمرة من فاكهة الموسم .. وبعد ذلك فنجان قهوة بدون سكر .. هل من اعتراض .. سألت .. وجاء جواب جنابي يقول كلا لا اعتراض .. وأقبل موسيقي الدار يعزف أمامنا لحناً ناعماً على الكمان .. فأومأت إليه بابتسامة خفيفة بوجوب الانصراف فانصرف .. ماذا بعد ذلك .. إنها تهدم كل المخططات التي كنت قد رسمت آنفاً .. وبالطبع كان الأمر الذي أصدرته .. أنه لا كلام أثناء الطعام .. لأن ذلك يُضر بالصحة وهي حريصة على صحتها وبالتالي على صحتي .. وبعد الطعام سيكون لدينا المتسع اللازم للكلام الأكثر لزوماً .. إنها الديكتاتورية بأجلى أشكالها ومعانيها .. حتّى أنني تخيلت لوهلةٍ أنها قريبة الدكتاتور السوري الأصل الليبي المولد سيبتموس سيفروس .. الذي خرج من مدينة حمص في وسط سوريا .. رئيساً لحرس الإمبراطور .. وبطريق أو أخر.. تسلّم عرش الإمبراطورية الرومانية .. وحكمها بيد من حديد .. ودكتاتوريتها هذه ربما كانت مستوردة من الدكتاتورية التي صارت إليها سوريا تلك الأيام .. على يدي الزعيم في الجيش السوري حسني الزعيم .. الذي ألغى الديموقراطية في ليل الثلاثين من آذار من

عام ١٩٤٩م .. بانقلاب عسكري قام به .. وأعلن نفسه حاكماً عسكرياً فرداً .. ورفَّعَ نفسه من رتبة الزعيم إلى رتبة المشير في الجيش .. وفرض ذاته بعد ذلك رئيساً للجمهورية .. لا لن تحكمني بيدٍ من حديد ولا بيدٍ من وردٍ أو حتّى ياسمين .. أنا الذي سوف أحكمها .. ولتكن لها البداية .. إنما العبرة في النهاية .. ومن يضحك أخيراً يضحك كثيراً .. وبصبرٍ ما بعده ولا قبله صبر .. كنت أترقب اللحظة التي ستخرج فيها مما حولها .. لتصب اهتمامها عليَّ أنا وحدي .. حتّى أنني في تلك اللحظات نسيت العبقرية الفذة .. والكتاب وفؤاد والماضي والمستقبل .. وكان كل تركيزي على الطريقة التي بها سيبدأ الغزل .. لكنها لم تبدأ به وطال انتظاري .. فلماذا لا أبدأ أنا إذن ..؟ فليكن والأمر لصاحب الأمر .. وكانت قد فرغت من تناول طعامها .. عندما مددت يمناي تحاول الإمساك بيمناها محاولاً مداعبتها .. ابتعدت عني قليلاً .. وبأدبٍ باردٍ جمٍ أوقفت يدي عن ملامستها .. ولما جئت أصب في أذنيها بعض عبارات غَزَل .. أوقفتني عن الحديث بإشارة من إصبعها .. ونهضت قائلة بأن الوقت قد أدركها .. وإنها يجب أن تنصرف لشأن ينتظرها .. ولم تنتظر مني جواباً .. بل نادت النادل بإشارة من يدها فأسرع إليها مهرولاً .. ومن لا يُهرول للقاء مثل هذه الشقراء الفاتنة .. وخاصة أنها في تلك اللحظة كانت ترتدي كل سحرها الأنثوي ..

وبابتسامة ناعسة ناعمة طلبت منه الحساب .. لماذا هذا الاستعجال قلت لها .. إننا لم نتحدث بعد .. وبينما كنا في جدل يرجوها تغيير قرار الانصراف الصادر عنها .. كان النادل قد حضر بالحساب .. ووضعه على الطاولة أمامي .. وأبديت بعض امتعاض .. لتحس أنها أهانت العبقرية والعبقري وإنه ليس كذلك يعامل العظماء .. لعلها تعود عن عزمها .. لكن خيل إليَّ أنها كانت جامدة الملامح .. صماء التقاطيع .. ماذا حدث لها فجأة .. سائلاً نفسي بينما كنت أخرج محفظتي الجلدية الثمينة .. وأنا أتصنع الغضب الخفيف .. موجهاً الحديث إلى النادل مستوضحاً عن قيمة الحساب .. غير ناظرٍ إلى الورقة .. ورقة الحساب التي هي أمامي على الطاولة .. قال النادل .. الحساب ثلاثون ليرة سورية يا سيدي .. نقدته الثمن واتجهت خارجاً من المطعم .. محاولاً أن أخلّفها ورائي .. إهانة لها على تصرفها الشائن مع العبقري والعبقرية .. لكنها استوقفتني بأن أمسكتني من ذراعي .. طالبة مني أن أنتظر قليلاً .. ستعتذر إذن وستعود الأمور إلى التحسن من جديد .. مدت يدها إلى حقيبتها وأخرجت كتابي الأنيق الرقيق الجميل المترف .. ورمت به بلا مبالاة على المائدة .. احترسي يا فتاة .. ستلوثين غلافه الزاهي بالدهون .. لم تأبه بصيحتي .. بل أنها ثانية مدت يدها إلى حقيبتها .. وأخرجت عشر ليرات سورية .. وضعتها فوق الكتاب .. ماذا تفعلين وما هذا

الجنون والتصرف المجنون .. وجاء صوتها واضحاً صريحا يقول لي .. الآن أصبحنا خالصين .. ماذا يعني هذا الكلام .. لم أفهم ماذا تقصدين .. قلت بدهشة .. استطردت تقول .. لن تمنَّ عليَّ بغداء..الحساب ثلاثون ليرة سورية ..أنا أدفع النصف .. هاك كتابك التافه الذي دفعت فيه خمس ليرات سورية .. وهاك البقية.. عشر ليرات .. يالها من غبية .. إنها لا تفهم في الأدب ولا تعرف قيمة العبقرية والعباقرة .. والآن .. بعد أحد عشر عاماً على أحداث هذه الحكاية .. أصرُّ على أنها غبية .. ولا أريد أن أفهم ماذا كانت تعني بتصرفها ذاك .. إنما كلما تذكرت هذا الذي جرى أضحك وأضحك .. وبملء شغاف القلب أضحك .. فيرتجف القلم بين إصبعيَّ ويتوتر كياني .. وأحاول أن أغتصب فترة هدوء في الذات .. لأكمل لكم هذا الذي أريد أن أقوله لكم .. فلا أستطيع ..



لن أموت..

على الرصيف الأيسر ..



لن أموت..
على الرصيف الأيسر ..

... رغم الوضع الرهيب الذي كان ركاب الطائرة يتخبطون فيه .. إلا أنني استطعت أن أعود إلى الوراء قليلاً .. لأتذكرها هي ذاتها قبل حوالي ساعات .. عندما غادرت طائرتنا روما .. في طريقها إلى دمشق . لم يكن في مظهرها آنذاك ما يُلْفِتُ النظر إليها .. إلا أناقتها المُتَّزنة المُحيطة بجمال طبيعي .. ليس بالصاخب المُثير .. ولا بالهادئ الغامض المُستتر . العينان – وهي أول ما يُلْفِت نظري عادةً - سوداوان قاتمتان .. بها تُحيط أهداب ليلية تُنَظِّم انعكاس شعاع نظراتها .. حتّى يُظَنُّ أن منها ينبثق آلف معنىً ومعنىً .. وحيث لا يستقر معنىً .. فلا معنىً يُمْكِن أن يؤخذ به مُحْتَمِلاً اليقين .. وأنفها كنعاني قديم قِدَم الحضارة السورية العريقة .. ينحدر بتحدبٍ هادئ مُنْسابًا برقة عذبة .. على شفتين كرزيتين يُبَلِّلها رضاب شهي .. بين الحين والآخر .. حتّى لتظن أن منها تنطلق ألف دعوة ودعوة .. تستدعيك إلى قبلة صاخبة صارخة تثير فيك كامناً من غرائز ملتهبة .. لكنها لا تلبث أن تختفي ليحل الجد والاتزان مكانها .. وكأنها أستاذة تتحرك على منبر التدريس .. في كلية جامعة علوم .. الأرقام وحدها ما تُعنىَ به .. إلاَ أن هذا

المظهر الجدي سرعان ما يُغادرها مُتلاشياً .. ليعود صريخ الإثارة من جديد يشع من عينيها .. والإثارة تنبض كقلب متوترٍ من جسدها الذي يهتز .. على وقع قدميها اللذين يُحركان ساقين برنزيين مرمريين .. حتّى لتعتقد أنك أمام أكثر من مخلوق .. مُتَجَسِدٍ في ذلك الكيان الذي ليس بالإنساني ولا بالشيطاني .. وكذلك ليس بالملائكي .. ماذا هذا وماذا وراء تلك التقاطيع المتضاربة المتحاربة على ذلك الوجه الجميل .. التي تُغْرِقُكَ في متاهات يعجز علم الفراسة .. عن الغوص في أعماقها .. لسبر أغوارها واكتشاف أسرارها .. فتحار ويحار معكِ العلم في التعامل مع تلك المخلوقة .. التي لا تضحك ولكنك تُحِسُّ أنها تقهقه من أعماقها .. ولا تعبس ولكنك تشعر أنها بئر تعاسة وشقاء ..

.. عفواً .. هاهي ذي تمرُّ الآن أمامي .. بخطواتها الرتيبة الهادئة المنتظمة .. وقوامها السمهري الرشيق الملفوف .. وكأنه ليس في الأمر ما يُقْلِقُ .. رغم أن الكل هنا حولنا في أكثر من رعب مقلقٍ .. وكأن الطائرة لم يمض عليها أكثر من ربع ساعة من الزمن .. وهي تحوم في سماء دمشق دون أن تتمكن من الهبوط .. وكأن مداعبات السيد عزرائيل ملاك الموت .. التي سيطرت على أعصاب جميع ركاب الطائرة لا تُعنيها في شيء .. شعرها الحالك السواد

المنسدل على كتفيها .. يُعانق خديها بين الحين والحين .. يحيط بأذنيها الصغيرتين الورديتين بحدب وحنو عجيبين .. ما زال كما هو وكأنه يهمس فيها بسرٍ .. ربما هو سبب أسباب هدوئها الغريب العجيب ذاك ..

... وإلى نفسي أعود وأنا غائص في مقعدي الوثير .. لأشعر برعشات تهزني بعنف ما بعده عنف .. بعد سدور عميق وغياب أعمق عن حال الطائرة المُفْزع الذي نحن فيه.. وأحِسُّ أن أيام عمري قد استهلكت وانقضت .. وأن النهاية قد اقتربت .. ولم تبق من الحياة إلاّ لحظات قلائل تهوي بعدها الطائرة إلى الأرض .. فأصبح أشلاء مبعثرة تمتزج بأشلاء الآخرين والأخريات .. ويقتنع أقاربي بالقليل من أشلائي .. برأسي مثلاً إن بقي سليما يتعرفون عليه .. وبما تيسر من أصابع جاري وساق جارتي .. عفواً لن يخلط أحد بين ساقي وساق جارتي الحسناء .. ذلك أن الفرق بينها واضح وضوح شمس تموز .. وسوف يُقيمون لي مأتماً باحتفال كبير .. ينعون فيه الصحافي الكبير الذي كان حتى الأمس .. ملء السمع والبصر .. والذي قضى شهيداً في سبيل الواجب .. أي واجب هذا يا ناس .. أنتم تكذبون .. أنتم تنافقون .. أنتم تتاجرون بي بعد موتي .. أنا كنت في رحلة ترفيهية إلى أوربا .. هذا كل ما في الأمر .. فهل رحلتي هذه

جهاد ونضال من أجل الوطن ..؟ من سيقول لهم هذا ..
من سيكشف كذبهم ونفاقهم .. أهٍ لو كنت حياً لكنت
قلت الحقيقة كما عودتهم ولا شيء غير الحقيقة ..
فإذا اكتشفت بعد قول تلك الحقيقة .. أنها ليست من
الحقيقة في شيء .. تراجعت واعتذرت لأنهي إليهم ما
تبين لي من الحقيقة الفعلية .. ولن تمضي إلاّ بضعة
أيامٍ حتّى أضحي خبراً منسياً .. كالأخبار التي أسعى
وراءها واتعب للحصول عليها .. ولا ألبث أن أنساها
كما ينساها الناس بعد نشرها .. ليحل محلها الجديد
من الأحداث وأخبارها .. تلك هي الحياة .. ما أتفهها
وأسخفها .. وترتجف الطائرة كرعشة قلب محبٍ بعد
النظرة الأولى إلى الحبيب .. لاحظوا إنني أفكر بالحب
والحبيب .. ونحن في ذلك الحال المفزع الرهيب ..
ولكنها العادة التي تفرض ذاتها دون أي شعور بها ..
والمثل في ذلك .. مثل المُدَخِن الذي يتناول لفافة
الدخان بلا شعور منه .. فيشعلها ويدخنها دون
أي شعور بها .. ولو أنه أحس بما يفعل .. لنبذها
كعادة سيئة مضرة .. والتفت إلى جاري الذي بجانبي
الذي يضع يده على بطنه .. بينما من فمه يقذف
ما تبقى من طعام في معدته لم يهضم بعد .. وأشعر
بالغثيان والقرف ولكنني لا ألبث أن أغرق
في ذهولي .. غير ملتفت إليه وأنا اسمعه يردد
بعض تمتمات التوبة .. والعودة إلى ربه .. مستغفراً
إياه راجياً العفو منه .. طالباً الرحمة به .. لماذا

التوبة الآن يا أخ .. إنها غير مقبولة منك .. وبك لن اقتدي .. ليس لأنني بريء لم أرتكب الخطايا والمنكرات .. بل لأنني أعتقد أن بأن ذنوبي لوفرتها .. لا تكفيها طلب الغفران عنها .. بلحظات سريعة في أوضاع حرجة نحن فيها .. ورغم ذلك أقول .. أستغفر الله العظيم ربي .. من كل ذنب عظيم .. والله لا ريب غفور رحيم .. إلاّ أنني كان يجب أن أفكر بالتوبة وأنا في حال مريح وليس الآن .. الأمر الذي لم أفعله .. ولن أفعله الآن تاركاً أمر خطاياي لربي الرحمن الرحيم ..

... واستفيق من تأملاتي هذه على إحساس بأنامل يدها الرقيقة .. يا الله ما أحلى أصابعها وهي تلمسني .. رغم المنديل الذي كان بيدها .. والذي به كانت تمسح ما علق بثيابي من إفرازات الجار العزيز التائب .. وأنسى في هذا الموقف .. كل ما أنا فيه من كرب .. وكل ما حولي من صخب وذعر .. وأنظر من جديد في عينيها .. وكما قلت لكم .. فالعينان أول ما يلفت نظري في حفيدات السيدة الوالدة الأولى حواء عليها السلام .. التي أوردتنا بفضولها .. موارد الخطيئة وأنزلتنا من نعيم الآخرة إلى دناءة الدنيا الدنيئة .. وأحاول من جديد أن أغوص في عينيها السوداوين الجميلتين .. مستطلعاً السر الذي يكمن فيها .. متشوقاً لإيجاد بعض قلق يشوبها على الأقل .. كما كل الناس

في مثل الحال الذي نحن فيه .. فلا أجده .. وأحدق في تلك العينيين بعمق أعمق .. مسترجعاً جميع ما تعلمته وحفظته .. من دروس علم النفس .. علها تهديني إلى مخرج ينتشلني من الحيرة التي أنا فيها .. فلا أجد في انعكاس شعاع نظراتها .. التي تنظمها أهداب ليلية حالمة .. إلاَّ أمناً وسلاماً .. ولا أجد أهدابها المخملية الناعمة .. إلاَّ وهي ترف بشكل طبيعي هادئ .. كاد يُفقدني أعصابي .. كدت أثور .. كدت أصرخ في وجهها .. كدت أنعتها بتبلد الإحساس والشعور .. كدت أقول لها تحركي .. قولي شيئاً .. لكن هدَّأ من ثائرتي ما ظننته شبح ابتسامة ارتسمت على شفتيها .. تبدت كومضةٍ من برق خاطف .. كشفت عن أسنانٍ لؤلؤية تتحدى جواهر تيجان ملوك سوريا الأسطوريين .. بناة حضاراتنا الشامخة .. التي تتحدى الفناء .. فهَدَأتُ .. هَدَأتُ وأنا أرقبها تنسحب بعيداً عني .. بذات الخطوات الرتيبة المنتظمة الهادئة .. بقدها السمهري الملفوف الفتّان .. وشعرها الأسود الحالك كسواد ليل لا نجوم في سمائه ولا قمر .. شعرها الذي يحيط بإذنين .. محيطاً بخدين مخمليين متوردين .. أي سرٍ ذلك الذي تهمس به خصلات شعرها الحريري .. في تلك الأذنين الجميلتين .. ؟ .. وفجأة أحس بوميض ينفلت من أعماق ذاتي .. يهمس في إحساسي وشعوري ما اعتقدته سرها .. أحسست أن

ما من غموضٍ أبداً في تلك العينيين السوداوين .. اللتين تحيط بهما أهداب ليلية هادئة هدوء ليالي الحالمين والحالمات .. في صيفية حلبية منعشة .. إنها لن تموت .. هذا ما اعتقدت أنها تريد الإفصاح عنه .. يالها من غبية إنها تتحدى القدر .. في شخص الأخ عزرائيل الذي كان يحوم حولنا مداعباً ..يهز طائرتنا هزاً عنيفاً .. مُطوِّحاً بها من أعالي الأعالي إلى أسفل الأسفل .. حتى إذا ما اقتربت من الأرض .. عاد وارتفع بها في الأعالي من جديد .. رفقاً بنا يا ملاك الموت .. فالله سبحانه وتعالى إذا كان قد أرسلك لتقبض الأمانة .. ولتعيدها إلى حيث تلقى الحساب .. فيكون الثواب لنا بما أتينا في دنيانا من الصالحات .. أو يكون العقاب بما اقترفنا من آثامٍ وموبقات .. وهو هنا بيننا كأنه يريد أن يسلب الأرواح من أجسادنا ذعراً وترهيباً .. لماذا هذا التعذيب أيها الأخ عزرائيل .. لماذا لا تأخذ الأمانة التي كلفك الله تعالى بأخذها وتمضي إلى حال سبيلك .. وترتاح وتريحنا بالانتقال إلى مصيرنا الذي قدِّر علينا ولنا . إنها تتحدى العاصفة التي جعلت من الطائرة الضخمة العملاقة التي تحملنا .. ريشة على متنها .. ورقة خريفية في قلب كانون .. تتحدى النار التي اندلعت في محرك الطائرة الأيمن .. إنني أراه بعيني الاثنتين من خلال النافذة .. وهو يستسلم للنار التي لن تلبث إلا قليلاً حتّى تصل إلينا هنا في قلب الطائرة .. وإليها

سوف تصل أيضاً كما نحن تماماً .. ستموت كما سوف نموت ولا منجاة لها .. فما معنى هذا التحدي منها .. هل هي أقوى وأمتن أعصاباً من ذلك الشاب الواثق من نفسه .. الذي كان يقف قبل برهة بيننا .. عندما كنا نحلق فوق جزيرة قبرص السورية .. التي هي نجمة الهلال الخصيب السوري .. والتي هي امتداد سلسلة جبال لبنان الغربية .. في بحر الشام السوري العظيم .. وهو يروي لنا كيف كان يضبط أعصابه .. وهو يقود طائرته ذات مرة فوق هذه الجزيرة السورية .. عندما اندلعت النار في محركها .. قال لنا أنه استطاع أن يهبط بها في البحر بأمان .. بحيث لم يشعر الركاب لا باحتراق المحرك .. ولا بالهبوط الاضطراري الذي تمَّ بهدوء تام .. ولكنني المحه الآن في زاوية من الطائرة المترنحة .. كسكير بعد منتصف ليل .. ممتقع اللون في انهيار كاملٍ يرتجف ذعراً .. كمن أصابته رعدة حمى قاتلة.. وذاك الذي كان يوزع علينا نكاته مالئاً السماء بضحكاته .. وكأنها حبات الحلوى .. التي وزعتها علينا تلك المخلوقة الغامضة .. التي لا تضحك .. ولكنك تشعر أنها تضحك بكل تفاؤل من أعماق أعماقها .. ولا تعبس ولكنك تُحس أنها بئر تعاسة وشقاء .. إنه الآن يروح ويغدو على أرض الطائرة .. مخترقاً الأوامر بوجوب ربط الحزام والتزام المقاعد .. مذعوراً يرقص كالطائر الذبيح .. الذي يرفض الموت القادم إليه بكل عنف .. صائحاً بلا

وعي منه .. لا لن أموت .. لا أريد أن أموت .. ليس خوفاً على نفسي من الموت .. بل لأنني لا أريد لوالدتي أن تحزن علي فتموت كمداً .. الرحمة يا رب الرحمة .. إنه سوف يموت وسأموت معه .. وستموت معنا هي أيضاً .. تلك التي لا تضحك ولكنك تشعر بضحكها ولا تعبس ولكنك تحس بشقائها .. فلماذا التحدي إذن .. ؟ تُراها تؤمن بالتقمص وحياة أخرى أجمل قادمة .. ولا يُمكن أن تتوصل إليها إلا بعد الموت ..؟ ربما .. وربما أيضاً سيخيب أملها ولن يتحقق لها ذلك .. فتُبْعَث ثانية على سبيل المثال في إهاب عنزة جرباء أو فأرةٍ أو جرذ .. أو تحل روحها في حية .. كالحية التي أغوت أمها حواء .. فغرَّرَت بالوالد السيد آدم عليه السلام .. فأكل التفاحة إياها .. ولم يهنأ بالتمتع بطعمها اللذيذ .. لأنها ما لبثت أن أنزلتنا من نعيم الجنان .. إلى أرضٍ بعضنا لبعضٍ فيها عدو .. أو ربما ستبعث في جسد خنزير قذر بشع .. رغم ما هي عليه في هذه الدنيا من فتنة وجمال صارخ.. أو فلنقل أنها ملت من الجمال التي هي فيه .. وما يسبب لها من مضايقات نغصت عليها العيش في طمأنينة وسلام .. فتململت وراحت تبحث عن جمال القبح في دنيا أخرى غير دنيانا هذه.. التي كانت جميلة وحولناها بأنفسنا .. إلى القبح التي هي فيه.. فكان تعاملها مع ذاتها بهذا الشكل المهين غير المبالي ..

وتحوم الطائرة في نصف دائرة أخرى .. ثمَّ تهوي إلى الأرض بانحدار جنوني مريع .. ويقع جاري على وجهه .. ويسيل الدم من أنفه .. ويُغمى على المضيفة الثانية زميلة مضيفتنا الجميلة إياها .. ويرسم ذاك الذي أراه من حيث أجلس .. شارة الصليب على صدره مرة .. وعلى وجهه مرة أخرى .. ويُغمض عينيه ويستسلم لقدره .. الذي لا يعرف ماذا سيكون .. الموت أو الحياة .. ولا شيء بينهما طبعاً .. وتقع حقيبة من رف الطائرة .. على رأس تلك الشابة الجميلة .. التي هي في مقتبل عمرها الغض النضير التي اصطبغ وجهها بصفرة الزعفران .. والأصفر هو لون الموت الذي محا الحياة من شبابها .. وخديها اللذين كانا متوردين يضجان بالحيوية والحياة .. عندما بدأنا الرحلة من روما .. وإذ بها الآن لا أكثر من دمية شمع .. لا تُحِسُ ولا تشعر بالحال التي هي عليه . وأطل من نافذة الطائرة لأرى أنوار دمشق المُتَلألئة .. ونحن نقترب منها بسرعة هائلة ويتضخم حجمها كلما أوغلنا في الانحدار .. وتستبين لنا باتضاح إشعاعاتها .. وأحس أن النهاية قد أصبحت وشيكة .. وإن هي إلا ثوان حتّى نقضي مع طائرتنا .. التي ستنفجر في شارعٍ يغص بالناس لا ريب.. فنموت ويموت معنا ناس آخرون .. وتطلع الصحف على الناس صباحاً بخبر المأساة المحزنة .. مُصَوَرَة كسبق صحفي .. من قبل زملاء لنا يبحثون دائماً عن

الجديد .. لاجتذاب القراء ولو بالمآسي والكوارث .. وفي الصورة قد يظهر جزء من جسدي على رصيف الشارع الأيمن .. والجزء الآخر على الرصيف الأيسر .. يا للفضيحة .. إذ أنني سأصبح بعد موتي مجال تفكه وتندر من قبل الأساتذة الزملاء .. سيقولون عاش عمره يمينياً مفاخراً بأنه من أصحاب اليمين .. الذين مصيرهم في الجنة .. وفيها سوف يخلدون كما قال القرآن الكريم .. ومات وبعض جثمانه على الرصيف الأيمن للشارع كما تمنى خلال حياته .. وبعضه الآخر على الرصيف الأيسر كما لم يُرد أبداً .. وهكذا سيكون نصفه في الجنة ونصفه الآخر في النار .. تعالوا نصلي لله تعالى بأن يرحمه ويجعل كل جثمانه .. في مُستَقرٍ واحد الجنة أو النار .. لا .. أنا لا أحب اليسار الذي هو الشمال .. رغم أن الله سبحانه وتعالى جعل أيام حياتي في معظمها أيام يسر ويسار .. أنا لا أحب أن أموت على الرصيف الأيسر أبداً .. أبداً .. على كلٍ .. بعد فترة قصيرة من الزمن من الحادث الفاجع .. الذي هو في الدرب إلى الحدوث .. سأصبح خبراً عتيقاً منسياً .. كالأخبار التي كنت أنشرها .. والتي لم تستقر بواحدٍ منها في الذاكرة .. أي ذاكرة تلك التي عنها أتحدث الآن .. ونحن في الدرب إلى الحادث الأعظم الذي سوف يحدث .. والذي سوف يودي بحياتي مأسوفاً على شبابي .. الذي سوف يغرق بدموع المعجبات بي كشاب في ريعان

صباه .. وكفتى الصحافة اللامع .. الذي مقالاته على متن الأثير وفي صدر الصفحات الأولى مع مطلع كُلِّ صبح .. إلا أنه هناك من سيفرح ويُزغرد .. إذ يسمع نبأ موتي .. وهم الذين كنت أتناولهم ناقداً وبقسوة ما بعدها قسوة في مقالاتي .. إلا أن الذي يُغضبني منذ الآن .. أن مجالس النفاق سوف تقام على روحي .. بدلاً من مجالس العزاء .. وسيدَّعي بي وصلاً من لا أعرفه .. ومن لم أوافقه على تصرفٍ أو أداء .. وسوف أتحمل والحال هذا ما لم أرتكبه .. وأغرق في مقعدي الوثير .. هادئاً على الطائرة .. التي كانت في تلك اللحظة تهوي من جديد نحو الأرض .. وأتذكرها فأتلفت بناظري في جوانب الطائرة بحثاً عنها .. متأملاً أن ألمح علامة ذعرٍ ولو باهتةٍ على وجهها الجميل .. رعشة اضطراب واحدة .. تجعلها مثل الجميع على متن الطائرة .. مجرد إنسان يخاف ويبكي كما يفرح .. وليست تلك التي لا تبتسم .. إنما تشعر أن من عمقها ينبعث مرح الدنيا وفرحها .. ولا تعبس إنما شقاء الكون يبدو ظاهراً واضحاً على مُحياها .. أريد أن أتحدى تحديها .. قبل أن أموت وتموت ويموت الجميع ..

وفجأة ينفتح باب قمرة القيادة وتظهر منه .. مُستندة إلى حافته بثقة القائد المتمكن الواثق من النصر الأكيد القادم .. أي نصرٍ ذاك يا هذه ؟؟ الطائرة ما زالت

تهوي .. إنما هي التي كانت هذه المرَّة تصوب إليّ نظراتها الواثقة الحادة .. التي فيها الكثير من الحنو .. الطائرة تهوي والموت قريب .. إنها كما هي لم يتغير لونها ولم تمتقع .. ولم تضطرب وما زالت أهدابها الليلية .. تنظم انعكاس شعاع نظراتها .. وخلتُ أن صوتاً ينطلق من أعماقها .. ليخترق أذني صارخاً بي .. لن أموت .. بينما أنت أيها الضعيف الخائف من الموت ..والكل معك من الخوف والذعر ستموتون .. أما أنا فلسوف استمر في الحياة .. لأنه ما زال عليّ ما يجب أن أؤديه .. وفجأة ترتفع الطائرة إلى الأعلى .. ولا أعير هذا الأمل التفاتاً .. لأنني كنت في ذهول عن الحياة .. بهذا الإيمان العجيب عندها بالحياة .. تُرى هل ينهزم القدر أمامها ؟ والعاصفة التي نحن فيها .. والنار المشتعلة بالمحرك الأيمن ..؟ والوقود الذي لا شك قد بدأ ينفذ .. ،وإعلان حالة الطوارئ من قبل الربان .. الطائرة ما زالت ترتفع .. وبدأت أشعر ببعض الأمل والثقة بالحياة والنجاة مما نحن فيه .. تُرى هل تهبط بنا الطائرة إلى الأرض بسلام آمنين من أجلها فقط .. هيَ وأنا وحدنا .. عفا عنّا الإغماء وتجاوزنا إلى الجميع .. الجميع الذين ماتوا قبل أن يبدأ الأخ عزرائيل عليه السلام عمله .. بالنسبة إليّ لم أكن ذلك الشجاع المقدام .. إنما في الواقع كنت أنتظرها لتموت لأموت بعدها .. إنه الفضول لا أكثر .. أردت أن أتحداها ولو للحظة واحدة قبل موتي .. تلك التي ما زالت تهزأ بالموت حتّى الآن ..

.. الطائرة عادت تنحدر إلى الأسفل من جديد .. هذه المرة كانت تنحدر بتؤدة ومهل .. خارج الطائرة حيث أنظر من النافذة .. لا يُرى إلا الظلام الدامس .. لسنا الآن فوق دمشق التي اختفت أنوارها عن أعيننا .. أين نحن الآن .. ترى هل عاد السيد عزرائيل عن مداعبتنا وعفا عنّا وقرر مغادرتنا ؟.. عيناها ما زالتا ترسلان شعاع التحدي الذي بدأ يخف رويداً .. وأخيراً هاهي الطائرة نشعر بها تدب على الأرض .. وتكبح تدريجياً جماح سرعتها .. وبكل أناة تتوقف وعمود من الدخان ينبعث من محركها المُحترق .. لقد تجاوزنا الموت إذن .. أو أنه هو الذي تجاوزنا .. أردت أن أقول لها .. أو ربما ما زال في الأفق بعض تهديد بالموت .. من الأخ عزرائيل .. ذلك أن الطائرة قد تنفجر بنا .. قبل أن تتمكن فرق الإطفاء .. من إخماد النار في المحرك المشتعل .. لكنها لم تتوقف لتتلقى كلماتي الخافتة .. إنما راحت بخطاها الهادئة الرتيبة المنتظمة .. التي بها كانت قد بدأت الرحلة من روما .. وبقدها السمهري الفتّان تتجه نحو باب الطائرة .. وبهدوء عجيب تفتحه .. مفسحة المجال لرجال الإسعاف والإطفاء ليباشروا مهمتهم بالإنقاذ .. وإفراغ الطائرة من الركاب .. وأراها الآن تهبط على سلم الطائرة .. وأنا من وراءها أتبعها .. نحن الوحيدان اللذان لم نفقد وعينا..رجال الإطفاء يخمدون المناطق المشتعلة.من الطائرة التي قد تنفجر بين

لحظة وأخرى .. أنا مازلت أتبعها لأرى أنها مازالت غير آبهة بأي خطر .. ما زال يهددنا من إمكان انفجار الطائرة .. إنها الآن تُسرع الخطى .. إنها تركض .. أنا أركض أيضاً وراءها .. وتركع على الأرض فجأة .. وأراها تحتضن طفلة في العاشرة من عمرها .. كانت مقبلة إليها .. ما هي الحكاية ؟ من هي تلك الطفلة..؟ وقد وصلت إلى حيث تركع وبين يديها الطفلة تقبلها .. وتضمها إليها والدموع تنهمر من عينيها .. وتنفجر الطائرة ويهز دوي انفجارها مدينة دمشق بأسرها .. ورغم عنف دوي الانفجار .. سمعت صوتها لأول مرةٍ يقول .. من أجلك عشت هذه المرة أيضاً يا بنيتي الصغيرة .



شقيقة جو ....





شقيقة جو ...

... أشارت بيدها وهي تقف على ناصية الشارع .. فتوقفت سيارة السرفيس بالقرب منها .. ففتحت الباب الخلفي للسيارة .. ودخلت تستلقي على المقعد الفارغ .. دون أن تلتفت إلى من يجلس إلى جانبها .. أو تنظر إلى ما حولها .. فقد كانت مع نفسها يُشغلها ما خرجت لأجله من منزلها .. وماذا أهم عندها من عيد ميلادها .. ففي مثل هذا اليوم من عشرين سنة .. وضعتها أمها وبها فرح والدها .. وقالت جدتها لوالدها أنها بالبنت متفائلة أكثر من الصبي .. وإنها ستكون وجه سعد على العائلة كلها .. فهي أولاً جاءت إلى الدنيا ضاحكة مستبشرة .. غير باكية كما الأطفال عادة عندما يولدون .. وبالدرجة الثانية هي تشبهني وأنا لو تعرف يا ولدي .. قالت الجدة لولدها .. كنت جميلة الجميلات .. ولم يستطع والدك أن يتزوجني .. إلا بعد أن بذل الجهد الجهيد .. ليجعل والده يقنع والدي .. بقبول والدك زوجاً لي .. ولهذه الوليدة الجميلة جدّاً .. وفي الوقت الذي كانت فيه ناديا سادرة في ذكرياتها الممتعة هذه .. كانت تمدُّ أصابعها إلى جيب حقيبتها .. تخرج منها أجرة الركوب ربع ليرة .. تناولها إلى السائق الذي كان يُحَدِّق مُتفرساً في وجهها .. من خلال المرآة المُثبتة أمامه .. وإليها نصف التفات التفتَ .. عندما كانت ترفع نظارتها

السوداء عن عينيها .. مادَّة إليه يدها بالقطعة النقدية المعدنية .. ولها وجه المقال باسماً .. إننا يا آنسة لا يمكن أن نتقاضى أي أجرٍ من شقيقة جو .. أنت شقيقته لا ريب .. قد كنت في شك من ذلك .. ولكنني تأكدت عندما رفعت نظارتيك عن عينيك .. وقبل أن تهمَّ بالرد عليه .. كان الجالس إلى جانبها .. يستدير نحوها مُفاجَئا بما سمع .. ينظر إليها بوجه سعيد فرح .. مرسلاً كلمات التقدير والإعجاب متلاحقة على لسانه .. جو شقيقك يا آنسة رجل الرجال وآية الإيثار .. ولست أنا وحدي الذي يرى فيه المثل الأعلى المُقتدى .. بل كل الأخيار من ناس هذا الكون الذين هم مع الرحمان ضد الشيطان .. وهَمَّت ناديا أن تقول شيئاً .. لكن الفتاة التي تجلس إلى جانب السائق .. كانت قد سلبت دفة الحديث من فم ذلك الرجل .. متوجهة به إلى ناديا .. تُعلمها أنها كادت تصل إلى جو وتحظى بشرف مصافحته .. في آخر مرة تسنت لها مقابلته التي حدثت صدفة .. لولا أن سبقتها إلى تلك المصافحة .. سيدة كانت الأسبق إلى يمين جو .. التي كانت ممدودة لمصافحة جميع المتواجدين آنذاك .. إلا أن العجوز التي كانت تجلس إلى جانب تلك الفتاة .. تناولت منها الحديث بصوت رزين خفيض .. يُقرر أنها تجاوزت السبعين من عمرها .. ولم يحدث أن مرَّ خلال تلك الفترة من الزمن .. من يماثل جو في الذي هو فيه .. إن مثل هذا

المخلوق يمر في الكون مرة واحدة .. في كل عشرة قرون .. وإنها تدعو الله جلَّ جلاله أن يحفظ للناس جو .. ومن أجل ذلك أضاءت شمعة بطوله في كنيسة القرية .. متوسلة إلى السيدة العذراء مريم بنت عمران .. أن تحيط جو برعايتها .. وتحفظه بعنايتها .. من الكائدين والحاسدين ..

... ولما وجدت ناديا أنه لا مجال لها للرد على ما قاله هؤلاء الناس .. وإنهم يُريدون أن يقولوا ويرفضون أن يُقال لهم .. ردّاً على ما قالوه .. أشارت بإصبعها إلى السائق أن يتوقف .. وقبل أن تتوقف السيارة تماماً .. كانت ناديا تفتح الباب مُغادرة .. تلعن في سرها اللعين جو الذي كان كل الحديث .. حتّى وهي تغادر السيارة .. كان الحديث عن جو مستمراً بين الركاب .. وما كانت ناديا قد وصلت إلى حيث تريد أن تصل .. إنما فضلت للخلاص من الحديث عن جو .. أن تغادر إلى سيارة أخرى لا يعرف ركابها جو اللعين ذاك .. أو لتكمل إلى حيث تقصد مشياً على الأقدام .. ولمَ لا .. فالجو مشمس والطقس ربيعي بديع .. ورأت ناديا أن تدخل ذلك المحل التجاري الكبير .. الذي يتلألأ بالأنوار حتّى في عز ضوء النهار .. ففيه ستجد كل حاجياتها .. التي تراها لازمة لعيد ميلادها العشرين .. إنها لا تريد أن تبدو في المساء جميلة بين الجميلات .. بل تريد أن تكون جميلة الجميلات .. وذلك حتّى لا يلتفت رمزي

إلى واحدة غيرها .. رمزي بالمناسبة الوسيم الذي إليه تتطلع جميلات بيروت .. ناديا بالأساس جميلة لا ريب .. ومشكلتها بسيطة وهي قصر قامتها نسبياً .. والحل في الكعب العالي .. نظرت ناديا إلى نفسها .. وقد ارتسمت بقدها الحلو المعتدل .. وألوان ثيابها المتناسقة المنسجمة .. في المرآة التي تتصدر المكان .. وأخبرت ذاتها بأن أجمل من ذلك يستحيل إيجاده .. إلا إذا كان رمزي مصاباً بغشاوة تُغطي عينيه .. وراحت تتأمل ذاتها بإعجاب .. هو ذات الإعجاب الذي سيسيطر على رمزي.. بدون شك عندما سينظر إليها في المساء .. وهي الزهرة المتلألئة المشعة بين الزهرات الأخريات .. وتمهلت قليلاً أمام المرآة .. وانحرفت بذاتها يميناً وشمالاً .. واستدارت بقدها بينما وجهها باتجاه المرآة .. لترى كيف تبدو من الخلف .. لقد أفسد الهواء اللعين في الخارج تسريحة شعرها .. إلا أنها رغم ذلك مازالت في قمة جمالها .. ليست هي التي تقول ذلك .. بل ذلك الشاب الأشقر الوسيم الذي مرَّ بها تلك اللحظة .. هو الذي قرر ذلك .. عندما قال لها .. لست جميلة يا هذه بل أنت الجمال نفسه .. حبذا لو تركت شيئاً من نفسك للأخريات .. الخبيث .. إنه خبير بكلمات الغزل .. إذ ليس أجمل من تلك الكلمات .. في ذلك الموقف التي هي فيه .. أما صدرها المكشوف نسبياً .. والذي ما أشهاه قال فيه .. سيبدو أكثر من فاتن ومُشَوِّق بذلك

الثوب الأنيق .. الذي تراه أمامها على جسد تلك العارضة الخشبي .. هي من خشب والثوب عليها يلفت الأنظار ويدير الرؤوس .. فماذا يكون عليه الحال .. والثوب على جسمها الفاتن الجميل ..؟ قالت ناديا للعاملة في المحل .. أنها تريد تجربة هذا الثوب .. وإليه أشارت بيدها مضيفة أن مقاسها عشرة .. وبلحظات كان الثوب بين يديها .. وبه اتجهت إلى غرفة القياس .. وهي تتحسس الثوب وقماشه الناعم .. وصدره المُطرَّز بثقوبٍ تجمِّله .. بما تكشف مما وراء تلك الثقوب .. ومدَّت ناديا أناملها البضة تتحسس صدرها .. تلمسه برقة ونعومة وتداعبه برفق .. حيث عنه سيكشف الثوب خيالات منه .. ويخفي في ذات الوقت ما هو أجمل وأمتع .. وعندما اطمأنت إلى توفر كل عناصر الإغراء فيه .. وإلى التشابه الكبير بينه وبين الأصل الذي سوف يحط عليه .. تفرست بالرقم الذي يشير إلى القياس .. فلما تأكدت أنه قياسها هي .. دخلت غرفة القياس .. وغابت دقائق خرجت بعدها تحمله في يدها .. وتقدمه لعاملة المحل التي كانت بانتظارها في الخارج .. وطلبت منها أن تصرِه لها .. ولم تسألها عن السعر فقد كان مدوناً على الثوب .. كان مرتفع الثمن نسبياً .. لكنها تستحقه في عيد ميلادها العشرين .. ويستحق رمزي الوسيم .. أن يراها في هذا الثوب الأنيق الغالي العظيم .. وأسرعت ناديا متجهة إلى الخزينة .. تريد

أن تدفع ثمنه .. وكانت العاملة قد وصلت به مطوياً في صرة أنيقة وضعته على منصة دفع الأثمان .. وجاءت ناديا تمد يدها إلى حقيبتها .. لتنقد الخازن الثمن .. عندما كان يتقدم منها رجل أشيب في منتصف العمر .. واضعاً يده على الصرة .. مصدراً أمره إلى الصرّاف أن يسجل ثمن هذا الثوب على المحل .. كان الرجل ذاك صاحب المحل نفسه .. جاءت ناديا لتعلن تعجبها من هذا الذي يحدث .. عندما تقدم إليها صاحب المحل وبيده الثوب في صرته .. يضعه في يدها معلناً لها .. أنه سيكون أسعد السعداء .. أن يقدم هذا الثوب إلى شقيقة جو .. وإنها المصادفة السعيدة التي هيأت له هذه الفرصة الجميلة .. وهنا كان قد استمع إلى قول صاحب المحل من كان وراءها يستعد للدفع .. ومن كان حولها وبالقرب منها .. وإذ بها فجأة وسط تجمع من ناس لا تعرفهم .. يريدون التبرك بلمس شقيقة جو إذا لم يتسن لهم ملامسة جو نفسه .. بمصافحته وتقديم الاحترام له .. وعلى ناديا تلاحقت الأسئلة والاستفسارات .. حاولت أن تقول شيئاً لكنها ضاعت في زحمة الكلمات التي راحت تنهال عليها من كل صوب .. سائلة عن جو من قبل عاملات المحل والزبائن الذين انشغلوا عن الشراء بتلك التي دعاها صاحب المحل .. شقيقة جو .. ولم تلق عاملات المحل أي زجر من مالك المحل .. بل أنه هو نفسه كان يفعل فعلهن .. واحتارت ناديا من تجيب

منهن ومنهم .. ماذا تقول لصاحب المحل .. هل تأخذ الثوب وتنصرف .. هل تصر على دفع الثمن قبل أن تنصرف .. وهل سيتسنى لها ذلك .. هل تترك الثوب الذي هو ضروري جداً لعيد ميلادها .. كأداة للتأثير الإغرائي على رمزي الوسيم ...وتنصرف دونه ..؟ واقتربت منها فتاة في عمر الزهور تقول لها .. كم أنت محظوظة يا آنستي بكونك شقيقة جو .. وأطلقت زفرة حارَّة وحاولت أن تسترسل في الكلام معها .. عندما قاطعتها فتاة أخرى سائلة إياها .. عما إذا كانت هي التي تعد طعام جو .. وماذا يحب أن يأكل عادة .. أما الفتاة الثالثة التي قفزت حتى صارت أمامها فسألتها بحرارة أن تقبل بها صديقة لها .. واعدة أن تكون في خدمتها تنفذ لها كل ما تطلبه منها .. ذلك لتستطيع أن ترى جو كما تراه أخته .. في الصباح عند استيقاظه .. وظهراً في موعد الغداء .. ومساء عند المغرب والعشاء .. ووجدت نفسها في دوامة لا خروج منها .. وخير وسيلة للخروج من هذا المأزق الحرج .. هو الانسحاب الفوري والهرب بعيداً عن هذا التجمع .. وخاصة أن زبائن المحل كان قد ازداد تجمعهم حولها .. مستفسرين عن جو .. فما كان منها إلا أن تركت كل شيء خلفها وراحت تلوذ بالفرار .. إلا أن صاحب المحل لاحظ فرارها .. منسلة من الحلقة التي ضُربت حولها .. فلحق بها يضع صرة الثوب في يدها .. مصراً على أنها يجب أن تأخذه .. وأن تبلغ

تحياتـه إلـى جـو .. وإنـه لـن يـدعها تخـرج مـن المحـل بدونـه .. وللتخلـص من ورطتهـا هـذه أخـذت الثـوب وشـكرته علـى أريحيتـه بطـرف لـسانها .. مدركـة أن الـرفض سيفـضي إلـى مناقـشة تلفـت النظـر إلــى هروبهـا .. وتعيـد التجمـع الـذي منـه فـرَّت حولهـا .. وتوجهـت بخطـى سـريعة نحـو بـاب المحـل .. تكيـل الشتائم لجو وتلعن ذلك الذي كل النـاس تحمده وتتبرك باسمه .. والذي أوقعها في كل تلك التي هي فيه الآن .

. كان التعب قد أخذ من ناديا مأخذه .. ولا بد لهـا مـن بعض راحة من هذه المصيبة التي هي فيها .. والـتي لـم تكن تتوقع حدوثها .. فهـي حتـى الآن لـم تـستطع أن تـدرك لماذا اهتمام الناس .. كل هذا الاهتمام بجو .. مـاذا فعل لهم .. ماذا أعطـاهم .. مـاذا ومـاذا ومائـة ألـف لمـاذا .. وللخروج من زحمة الشارع .. وضجيج النـاس وأدخنـة الـسيارات .. الـتي كانـت تفـسد جـو البحـر البيروتـي النقي .. دخلت إلـى أول مقهـى صـادفها فـي طريقهـا .. وألقـت نفـسها علـى أول كرسـي واجههـا .. عنـد أول زاوية من المقهـى .. ولـم تتكلـم بـل أنهـا صـفقت ملفتـة نظر النـادل إلـى أنهـا هنـا .. فسرعان مـا قدم إليهـا .. مقدماً إليها قائمة الموجودات من طعام وشراب لتختـار منهـا .. إلا أنهـا لـم تلتفـت إليهـا بـل قالـت لـه .. أريـد فنجاناً من القهوة وقطعـة من فطـائر الجبـن .. وتمنـت أن تكـون بـذات الجـودة الـتي تـصنعها بهـا أمهـا ..

وجاءها النادل بما طلبت .. وراحت تعب القهوة وتلتهم الفطيرة .. حتى إذا ما انتهت أخذت نفساً طويلاً .. وكأنها أنهت مهمة كان عليها إنهاءها .. ومن ثم أخذت حقيبة يدها .. وأخرجت منها علبة دخان مترفة .. كانت قد قررت أن تكون نوعيتها هي دخانها المفضل .. إذ أنها قد بلغت العشرين .. وصارت سيدة بين السيدات .. أكثر منها فتاة بين صغار الفتيات .. اللواتي يعبثن ويلعبن بعيداً عن الالتزامات والمسئوليات .. ومن علامات الأنوثة المكتملة .. تظن ناديا .. وجوب التدخين .. للتدليل على الاستقلالية والثقة بالذات .. وأشعلت عوداً من الكبريت .. بعد أن وضعت سيكارة بين شفتيها الرقيقتين .. وقربته من السيكارة .. وامتصت منها نفساً قصيراً .. وإذ بها تغرق في نوبة سعال .. أخذت منها دقائق لتخرج منها .. لقد كانت سيكارتها الأولى ولن تكون الأخيرة .. لأنها مصرة على أن تبدو سيدة بين السيدات .. والتدخين برأيها كما أحست من مجتمعها .. هو سمة السيادة .. ومن خلال الدخان الذي تكاثف أمام وجهها الفاتن المضيء .. أدارت رأسها مستعرضة من حولها وما حولها .. وإذ بجميع من في المقهى ينظرون إليها متهامسين .. يا للهول .. إنها ذات حكاية جو اللعين على ما تعتقد وتظن .. بعضهم كان يتحرك من مكانه ليقترب منها .. والبعض الآخر كان متريثاً بحيرة تسيطر عليه .. يستعد لاتخاذ

قرار وعلى وجوه ذلك البعض .. ارتسمت علامات اندهاش .. ماذا..؟ هل سوف تتكرر المصيبة معها .. تفرست بما حولها من خلال زجاج نظارتيها السوداوين .. وقبل أن تصل إلى مشاكل جديدة .. وقبل أن يزعجها اللعين جو بأصدقائه ومعارفه .. استلت من حقيبتها ليرة لبنانية كاملة .. وضعتها على المائدة وانسلت هاربة من المكان .. لا تلوي على شيء .. تتعقبها نظرات الجميع .. الذين كان همسهم قد انتقل إلى طور الجهر .. فقد سمعتهم وهي في طريقها إلى الخارج .. يقولون أنها شقيقة جو .. يالها من فتاة رائعة .

. وكانت ناديا في تلك اللحظة .. قد بلغت غاية الإرهاق والسأم لما هي فيه .. ونظرت إلى ساعة يدها .. وإذ بها الواحدة بعد الظهر .. وهي لم تنجز شيئاً مما خرجت لإنجازه .. وكان عليها أن تكون في تلك اللحظة .. في مقهاها المفضل على البحر .. حيث التقت عيناها بعيني ذلك الشاب الجميل الوسيم .. الذي ينضح بالرجولة .. ومنه تتفجر ينابيع ذكاء وحيوية .. والذي اسمه رمزي كما أخبرها .. بعد أن حياها بابتسامة مقتضبة شعت من شفتيه .. ولم تتردد ثانية واحدة يومها أن تخبره بأنها ناديا .. فقد شعرت أنه هيَ وأنها هو .. فهل تتردد في إخبار نفسها شيئاً عن

نفسها .. وبدوره أخبرها أنه رمزي ويُسعده أن .. وقاطعته هنا مكملة حديثه .. وأنا يسعدني أن .. أن ماذا ؟؟ لم تُكمل ولم يُكمل .. إنما في اليوم التالي كانت في ذات المكان .. وكان هو أيضاً .. وبنفس الساعة والدقيقة .. والأرواح جنود مجندة في تآلفها وتخالفها . لا ريب أنه الآن هناك بانتظارها فماذا سيقول فيها عن تأخرها .. هي الآن في منطقة البرج .. ورمزي بانتظارها في مقهى شروق الشمس .. قرب نادي الضباط على البحر .. من المحتمل أن يكون أحد ضباط الجيش اللبناني .. شكله وتكوينه يدلان على نوعية غير نوعية شُبان هذا الزمان .. ولربما كان ذلك من أسباب تواجده في ذلك الفندق المقهى .. الذي هيأ لها فرصة الالتقاء به .. كل هذا غير مهم الآن .. المهم أنه بانتظارها وتأبى أن يظن بها الإهمال .. وعدم التقيد بالمواعيد .. وخاصة إذا صدق حدسها أنه عسكري .. والعسكري منضبط وبالغ الدقة في تصرفاته .. الموعد بينهما تلقائي لم يجر تحديده بالكلمات .. إنما هو التزام غير منطوق بين اثنين .. تمنت في تلك اللحظة أن تكون مالكة لفانوس علاء الدين .. لكانت استدعت عفريته الحارس ليحملها من حيث هي .. وليضعها أمام عينيه قبل أن يرتد إليه طرفه .. كما قال عفريت من الجن .. لنبي الله سليمان عليه السلام .. وبالفعل أحضر له عرش بلقيس ملكة سبأ .. قبل أن تصل هي لتُسلم على

يديه برب العالمين .. لكن الوقت ليس وقت التمني الآن .. وعليها التصرف بما تستطيع .. أشارت لأول سيارة أجرة مرَّت بها .. وألقت بنفسها في المقعد الخلفي وإلى مقهى شروق الشمس .. أمرته بالتوجه بأسرع ما يمكنه من اختراق .. لزحمة السير في هذا الوقت من النهار .. موعد هام جداً فاتني .. قالت للسائق .. والأمل كل الأمل أن أصل قبل أن يغادر الموعود المكان .. وكادت تقص القصة كاملة على السائق الذي شعر بما تشعر به من قلق واضطراب .. فراح يطوي المسافة مخترقاً شوارع غير مألوفة .. بما وسعه من جهد وخبرة في عالم السواقة .. ليصل بها إلى حيث تريد .. قبل فوات ما تريده .. وكانت الساعة قد بلغت الواحدة والربع .. عندما توقف السائق أمام مقهى شروق الشمس .. والتفت إليها يقول .. حبذا أننا وصلنا في الوقت المناسب لأكون سعيداً .. بأنني استطعت أن أفعل شيئاً مجدياً مفيدا للعزيزة جداً على قلوب الجميع شقيقة العزيز جداً جو .. ثانية اللعين جو .. هذا ليس وقته .. الوقت الآن وقت العزيز رمزي .. كل الأمل أن لا يكون قد ملَّ وغادر .. كان المفروض أن تكون هنا في المكان في الموعد .. الذي هو ليس موعداً بل هو التفاهم الصامت .. بين روحين تفاهمتا وقررتا التواصل بالتفاهم اللاشعوري .. ومدت يدها تريد مناولة السائق خمس ليرات لبنانية أجرة التوصيل .. ولكنه ابتسم

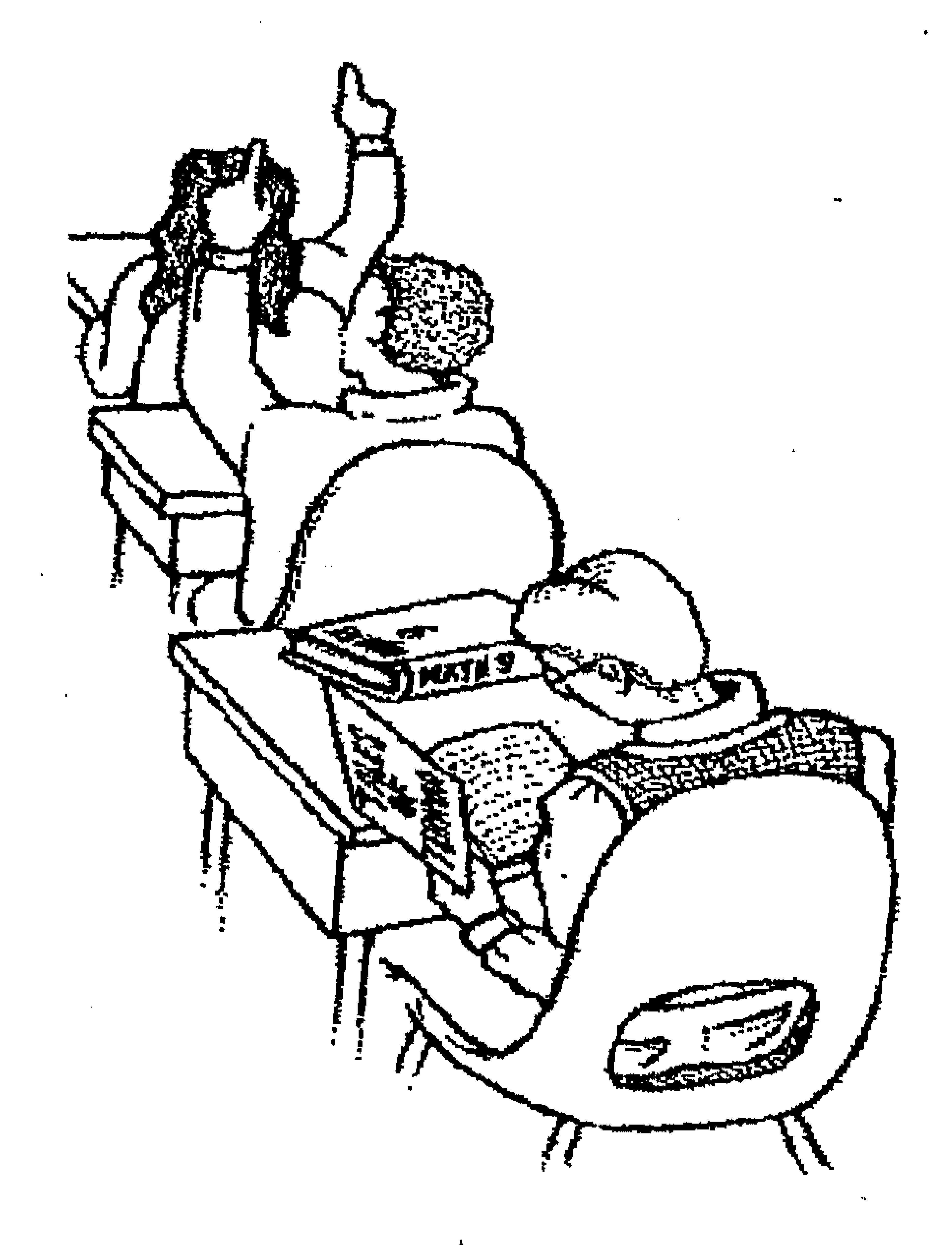
بلطف وأدب .. وقال لها .. وهل هذا معقول يا آنسة .. هل أتقاضى أجراً من شقيقة جو .. أجرتي أنك شرَّفتني بالركوب في سيارتي وهذه حكاية لأولادي وأحفادي من بعدي .. ولم ينتظر جواباً من ناديا .. بل رفع رجله عن ضابط الوقوف و ضغط على مزود الوقود .. وانطلق بعيداً دون أن يسمح لناديا بالتعقيب والتعليق .. وفي غمرة من حيرتها واضطرابها .. من هذا الذي يسببه لها جو اللعين .. أحست أن نظام جوربها قد اختل .. فانحنت تريد تعديله وإصلاحه .. ومرَّ مراهق بالقرب منها .. أطلق صفيراً يبدي إعجاباً بالساقين المرمريتين .. وعندما رفعت نظرها لترى ذلك الوقح .. الذي لم يؤدبه مؤدب .. كانت شابة تبدو في الثلاثين من عمرها .. قد أمسكت به من ياقة قميصه .. وناولته صفعة على خده الأيمن .. وأتبعتها بأخرى على الخد الأيسر .. موبخة إياه طالبة منه أن يخجل ويستحي .. إنها شقيقة جو أيها الصبي .. وتوقف في تلك اللحظة عجوز .. كان يمر بالمكان .. ليسمع ذلك الحوار وليتدخل موجهاً اللعنات إلى الصبي المسكين .. الذي كان يصرخ مبدياً الأسف مقدماً الأعذار .. بأنه لم ينتبه إلى أنها شقيقة حبيب الكل جو .. معتذراً بأنه سيكون في المستقبل أكثر حرصاً .. عندما يغازل الفاتنات من الصبايا الحسان .. وبينما كان الناس يتجمعون .. نتيجة للجلبة التي ثارت .. والضوضاء التي حدثت .. كانت ناديا منشغلة عن كل

ذلك الذي يحدث .. بالنظر إلى ردهة المقهى بحثاً عن حبيب القلب رمزي .. لولا أن التجمع حولها كان قد تزايد .. وصار من المستحيل أن ترى شيئاً .. وجاءت تشق طريقها في الزحام الذي كان يتزايد .. في الدرب إلى داخل المقهى .. لولا أن ذلك بدا شبه مستحيلٍ .. وخاصة أن شرطياً في المكان كان قد حضر على تجمع الناس .. ونظر فلما رأى ناديا حال دون تقدمها إلى المقهى .. مستوقفاً إياها ليُخبرها .. إنه سيكون أسعد السعداء أن يؤدب من تسبب بهذا الهيجان حولها .. والذي لا ريب أزعجها فشقيقة جو يجب أن تكون فوق الإزعاج .. ليست هذه هي المشكلة الآن .. إنها ليست مشكلة .. إنها كارثة .. أين رمزي أين ذهب رمزي ما حال رمزي إذا كان يرقب ورأى هذا الذي يحدث حولها .. ماذا سيظن بها وماذا سيقول عنها .. وهنا كانت ناديا قد بلغت غاية اضطرابها وإرهاقها وحيرتها .. في كيفية الخروج من المآزق التي تلاحقها والتي تتراكم حولها .. بسبب هذا اللعين جو .. فتراخت أعصابها وتلاشت قواها .. وبلا وعي منها غرقت عيناها بدموعها وإنطلقت باكية .. وعندما كانت تتهاوى على الأرض إعياءً مغمياً عليها .. كان الشرطي يمد يديه الاثنتين يتلقاها .. حاملاً إياها بسيارته إلى مخفر الشرطة .. لحمايتها من هذا الذي هي فيه ..

... وعندما استفاقت ناديا .. رأت نفسها على سرير حديدي .. من سرر مراكز رجال الشرطة .. وأمامها عجوز ملتحٍ في وجهه سمات الوقار والطيبة .. وأمامها منضدة عليها زجاجات وزجاجات .. أنا الطبيب الذي استدعيت ليكون لي شرف معالجة شقيقة العزيز جو .. قال العجوز الوقور الملتحي .. لا شيء .. إنه مجرد إرهاق لا أكثر .. اطمئني يا آنستي قال الطبيب لها .. وأدارت بصرها في الغرفة التي هي فيها .. لترى الملازم ضابط المخفر يتحرك من وراء مكتبه مقترباً منها .. وبصوت خفيض دافئ .. قال لها أنه آسف أن تكون مشكلتها هذه .. الحظ الذي واتاه للتعرف على شقيقة جو .. وأنها كانت فرصته لتقديم خدمة لها .. ودون أن تفوه ناديا بكلمة .. تناولت حقيبتها التي كانت أمامها على المنضدة .. ووضعت نظارتيها على عينيها .. وانسلت من المكان حتّى دون أن توجه كلمة شكرٍ لضابط المخفر .. الذي ما كان يريد أن يترك لها فرصة للتعبير عن شكرها .. أو للطبيب العجوز الوقور .. الذي بذل ما بذل من جهد لإنعاشها .. ونظرت إلى ساعة يدها .. وإذ بها الرابعة بعد الظهر .. ولم تستطع أن تنجز شيئاً مما خرجت من الدار لإنجازه .. لم تستطع أن تهيئ ما تمنت تهيئته .. لعيد ميلادها العشرين ولم تهنأ حتى باحتساء القهوة مع الحبيب الوسيم .. إنها من عمق أعماقها تكره هذا اللعين جو .. الذي أفسد عليها يومها .. الذي هو يوم

مولدها .. إنها تمقته وتمنت لو أنها تغرز أظفارها في عنقه .. انتقاماً منه لما سبب لها من مشاكل .. فتخنقه متخلصة منه إلى الأبد .. ولا لوم ولا تثريب على ناديا في غضبها الصارخ ذاك على جو .. ماذا حصل بين ليلة وليلة .. حتّى احتل جو عقول الناس كالوباء .. الذي اجتاح الجميع .. بل ماذا فعل جو لكل هؤلاء الناس .. ليلهجوا بذكره ويتفقوا على حمده على هذا النحو ..؟ كل الناس في المدينة يحبون اللعين جو .. إلا هي وحدها تمقته .. تكرهه .. تود لو أن والدته ما جاءت به إلى هذه الدنيا .. ليكون نكبة عليها وحدها من دون كل الناس .. لأنها الوحيدة بين هؤلاء الناس التي لا تعرفه .. لا تعرف من هو هذا اللعين جو .

الآنسة ٩٩ ...





الآنســـة ٩٩ ...

... أنا حتّى الآن لم أشعر براحة بال .. ولا بتأنيب ضمير .. ما أستطيع قوله أنني ما زلت ضائعاً بين دوامتي شعوري ولاشعوري .. ذلك أنني لم أؤمن بالحب يوماً .. الحب بين المرأة والرجل .. إنما بالتجاذب الغريزي كنت أعتقد .. لأن ذلك في أصل خلق الله سبحانه وتعالى للسيد الوالد آدم عليه السلام .. وللسيدة الوالدة حواء غفر الله لها وسامحها .. على ما تسببت به لنا من شقاء طرْدِنا من نعيم الجَنَّة .. الذي كنا فيه .. إلى شقاء الدنيا التي نحن فيها بعضنا لبعض عدو .. وعندما ظننت أنني بالحب آمنت .. عدت ثانية وبه كفرت .. لماذا كان ذلك ..؟ سؤال طرحته على نفسي .. ولم أجد له إجابةً حتّى الآن .. لماذا ؟ لست أدري بالواقع .. لأن الأمور مازالت تمر أمامي خيالات هلامية مبهمة الملامح .. لا أقدر على إدراك أسرارها .. أو فهم رموزها حتّى الآن ..

... ما كرهتها .. كما أنني لم أحبها .. لم أهتم بها .. كما أنني لم أهملها .. كانت بالنسبة إليَّ كباقي تلميذات الصف .. غير مُجِدَّة ولا كسولة أيضاً .. لم تكن طيبة متزنة عاقلة .. ولا شقية مشاكسة .. كانت جميلة جداً طبعاً .. شقراء مُضيئة ذات قوامٍ ملفوف .. بخدين

نضرين بقمتين ملونتين بحمرة الورد الدمشقي .. وعينين سوداويين فتاكتين هادئتين في ذات الحين .. فإن هي أغمضتهما سادرة في أحلام رؤاها وتخيلاتها .. بدت كتمثال مرمري .. فيه من الحياة أسرار الحياة .. وكأنها إحدى إلهات السوريين القدماء .. بشرتها بيضاء مُسْمَرَّة لدنه .. ملمسها كما أتخيله وأتصوره .. مخملياً مثيراً عُمْقَ أعماق الأعماق .. أعماق مَنْ؟ أعماقي أنا بالطبع .. كانت جميلة جميلة .. ولكنها لم تكن فريدة الجمال في غرفة الدرس .. بل إن من زميلاتها مَنْ كُنَّ يماثلنها في الجمال .. بل وفي الفتنة وقوة الإغراء والإثارة .. وفي ذات الوقت كُنَّ أكثر منها جَدّاً واجتهاداً .. وربما ذكاءً أيضاً .. وأشد شقاوة منها ومعاكسة لأساتذتهن خاصة .. فلماذا بها كنت أهتم دون سواها من تلميذات الفصل ..؟ وعلى مراقبتها أحرص مُحصياً فيها الحركة والسكون .. هذا إذا سكنت .. وما كانت لتسكن أبداً .. كنت أراقبها بحذرٍ شديدٍ .. حتى لا يبدو عليَّ الاهتمام بها أو التحيز لها أمام تلميذاتي الأخريات .. بتصرف يفضح شعوري أمامهن .. في وقت يبذلن فيه من الجهد أوفره .. للفت الانتباه مني إليهن .. إذ لم أكن مجرد مُدرس اللغة العربية .. فأنا لم أكن من أولئك الذين يرتدون الطربوش .. وعلى عيونهم النظارات النصفية السميكة .. التي تتيح لهم القراءة .. ومراقبة الطالبات في آن معاً .. ولم أكن قد جاوزت

الثلاثين من العمر .. أنا الآن لست أكبر كثيراً من ذلك .. شاب وسيم جداً .. أنيق جداً .. أمتلك كل المؤهلات التي تلفت الأنظار .. إضافة إلى مميزات أخرى .. تجعلني موضع اهتمام تلميذاتي وغير تلميذاتي أيضاً .. وما كنت بوارد الاهتمام بإحداهن .. لأنني في الواقع كنت أكثر من معجب بذاتي .. الأمر الذي يقترب بي من الغرور .. الذي به كُنَّ يشعرن .. وكلما اشتد الغرور في ذاتي العلية .. كلما ازدادت محاولاتهن لإخضاعي لتحطيم ذلك الغرور .. والاستيلاء عليه إذا أمكنهن ذلك .. ولكن لماذا ذلك الاهتمام بها هي بالذات .. ولو بيني وبين نفسي ؟ هل أحبها ؟ وهل هذا الذي أنا فيه هو الحب ؟ ربما .. فأنا لم أمر بتجربة حبٍ قبل الآن .. لأعرف الجواب على السؤال الذي طرحته على ذاتي .. وإذا لم يكن ذلك هو الحب .. فربما كان الكره إذن .. ولكن لماذا أكرهها .. وهل يُمكن لهذا الجمال الفتان أن يُكره ؟ أقول الجمال الفتّان وفي طالبات الصف الأخريات .. من يماثلنها جمالاً كما قلت لكم آنفاً.. ضائع أنا إذن مشتت التفكير .. وهذا لا ريب نوع من أنواع الجنون ..كما يقول مجانين علم النفس .. لقد كانت السبب في جنوني إذن .. إنها قوة رهيبة والحال هذا .. وإلا ما كانت تقدر على السيطرة على من يعتقد .. أنه لا يمكن السيطرة عليه ..

... مهلاً عرفت .. إنها فتاة عادية لا ريب في ذلك .. وهي ليست أكثر من ذلك .. فالقواعد العلمية تقول .. أن التمايز إذا لم يظهر في عنصرٍ قوي .. يتفوق فيه على العناصر الأخرى في أي مخلوق .. فإنه يبقى عادياً كبقية مخلوقات الله .. ولكن ألا يبدو عدم سؤالها لي في الصف أثناء الدرس .. عن معنى ما قاله الشاعر جميل في عيون حبيبته بثينة .. والعيون التي في طرفها حَوَرٌ اللاتي قتلننه ثم لم يحيين قتلاه .. كما فعلت بكل خبث .. زميلتها التي تجلس بجانبها تلك السمراء الساحرة .. لتورطني في حديث غزلي صريح .. يتعدى على هيبتي وحياديتي .. بما يتيح لتلميذاتي التنبؤ والتعليق والأخذ والرد .. وإثارة القيل والقال .. أليست هاته الرزانة من العناصر التي تُمَيِّزها عن قريناتها ..؟ ولماذا تلك السمهرية القوام .. الفتاكة النظرات .. التي يشع التحدي من نظراتها دون عبرات تسيل منها .. هي التي سألتني عن الخمار الأسود .. الذي فعل ما فعل من أفاعيل بالناسك المتعبد .. الذي شمَّر للوضوء ذراعه .. عندما مَرَّت سيادتها بباب المسجد .. وليست هي التي تخلت عن رصانتها ولا مبالاتها .. لتخوض في أحاديث تجعلها كزميلاتها .. بدون أي فروق تميزها عنهن .. هي في حالتها تلك رصينة لا مبالية بأستاذها .. أم أنها عليه متعالية بحكم منبتها العائلي الوطني ونشأتها الطبقية .. يالها من فتاة وقحة إذ لا تعرف ..

أو أنها تتجاهل .. أن المعلم كاد أن يكون رسولا .. وأن عليها أن تقوم لـه وتُوَفّـه ألتبجيلا .. ولكن يبدو أنها مثلـي لا تحـب أحمد شوقي .. الـذي أسموه للشعراء أميراً .. لا لعبقريته الشعرية كما أعتقد أنا طبعاً .. بل لأنه وُلِد وفي فمه ملعقة من ذهب .. ولأنه مُقرَّب من السلطة والسلطان .. وشاعر السلطان سلطان الشعراء كما جرت العادة .. ولأنه كما أرى سرق الشاعر الفرنسي لافونتين .. في حكاياته عن الحيوانات .. وصاغها بالعربية شعراً باسمه .. وسمّوا سرقته تلك اقتباساً .. إنها سرقة مكشوفة موصوفة .. برروها له استناداً إلى القاعدة التي تُجيز للشاعر .. ما لا تجيز لغيره .. ربما أنها لا تريد التمثل بمُثُل أحمد شوقي .. أو أنها أساساً لا تشعر بأن عليها احترامي .. لأنني لا شيء بالنسبة لها .. ومن قال لها أنني أقبل بأن أكون شيئاً في حسبانها .. وأنا ابن جلا في عالم النسائيات .. وطلاّع الثنايا .. متى أقود سيارة الموستنغ الفخمة في شوارع مدينتي حلب يعرفنني الكل .. فمن هذه التي لا يعرفها أحد إلا بضعة مراهقين من أمثالها .. هل هذه قسوة لا مبرر لها مني تجاهها .. يا للسخف .. مالي أسدر هكذا شارداً في تُرَّهات أحلام لا مبرر لها .. وما شأني بالشاعر أحمد شوقي الآن .. إنها أمامي في هذه اللحظة على مقعدها المعتاد .. في قاعة الدرس بهدوئها الغامض .. الذي ليس من العدل أن يؤخذ عليها .. وتحركاتها التي لم

تكن مريحة للأعصاب .. أعصابي أنا على الأقل .. هل عليَّ أن أقبل بما أراه منها .. أم أنقم على إثارتها لي بهذا الهدوء الغامض .. الذي عجزتُ عن إدراك كنهه . كأستاذ أجد أن عليَّ أن ألقي الدرس الذي يجب أن يُلقى بارتياح .. ودون الذهاب في تفاصيل ليست من شأني .. قد تُنقص من هيبتي لا ريب في ذلك .. ثمَّ الخروج من قاعة الدرس .. هكذا بكل بساطة .. ولكن يبدوا أنني أحبها .. وإلا لماذا كل تفكيري منصرف إليها ؟ حاولت مرّة تقريعها دون سبب يُذكر .. فسكتت ولم ترد .. لم يرتسم على وجهها أي تعبير ينبئ بما شعرت به .. حاولت أن أسترضيها مرَّة أخرى دون سبب يُذكر أيضاً .. وكالمرة الأولى صمتت ولم تجب .. ولم أستطع أن أسبر أغوار مشاعرها .. إنها قوية جبارة .. إنها تعرف كيف تسيطر على ذاتها وتتحكم بمشاعرها وتُخفي ذاتها حتّى عن ذاتها .. قلت لكم .. إنها ليست كالأخريات ..

... بين يدي الآن عملها المنزلي المكلفة به مني .. عادي جداً ليس فيه أي إبداع .. إنها لا تستحق أكثر من ربع العلامة التامة .. أو ربما أقل قليلاً منها .. توقفت طويلاً أمام عملها ذاك مُتأملاً جملها وتعبيراتها .. تعرجات خطوطها .. اتجاهها من أسفل نحو الأعلى .. إنه الطموح ما يدلى عليه اتجاه الخط صعوداً .. وتفكيرها لم يبد لي ركيكاً .. كما أنه ليس قوياً

متناسقاً .. وفي الواقع ليس فيه ما يُلفت النظر .. إلاّ نظراتها المتعالية التي كانت تصوبها نحوي .. وأرصدها من خلال ورقتها هاته .. التي أمسكها بيدي فأجمعها غيظاً بين أصابعي .. ثمَّ أفردها ثانية وابسطها أمامي .. متأملاً سادراً في غيبوبة لا تفكير فيها يعتريها .. وأعود إلى نفسي فأفكر بها من جديد .. إنها سرٌّ غامض لكنني سأحطم ذلك الغموض وسأكتشف ذلك السر .. إنها قوية ولكنني سأهزم تلك القوة .. إنها متكبرة ولكنني سأذلل ذلك الكبرياء ولسوف أذله .. بمحبتي وحبي سوف أقتلها .. سأجعلها تعبأ بي شاءت أم أبت .. سأجعلها تصوب إليَّ نظراتها .. أكانت تلك النظرات محبة حانية عطوفة رؤوفة .. أو مبغضة حاقدة ناقمة .. المهم أن تُفصح عن شعور ما .. وأن تُبدي بعض ذاتها إزائي أنا أستاذها على الأقل .. وأمسكت القلم الأحمر بين أصابعي .. إنها تستحق العلامة ٢٥ ولا أكثر .. لكنني منحتها العلامة ٩٩ .. وهي العلامة التامة .. إذ أن العلامة التامة التي هي ١٠٠ لا تمنح حتّى لأستاذها الذي هو أنا .. باعتبار أنه ما من كامل أبداً وتام .. إلا الله سبحانه وتعالى .. هذه العلامة ستثير ابتسامتها فرحاً .. أو أنها ستثير شفقتها عليَّ .. وعلى طريقتي في السعي إليها والتزلف لها .. المهم أنني سأحرك ما كمن من مشاعرها لأجعلها تبديها .. وتعبر عنها بقسمات وجهها الجميل .. أي والله جميل .. جميل

جداً .. فاتن جداً .. صبوح جداً .. سأجعلها كباقي التلميذات .. وحين ذلك سوف تتحول إلى فتاة عادية كالأخريات بنظري .. ولن أفكر بها ولن تشغلني بعد ذلك .. فأعود إلى نفسي فأجمع شتاتها .. وأركِّز مُتَمَعِناً في أغوار شعر المتنبي العظيم .. وعلى جار مدينتي المعري .. ابن معرة النعمان .. وغيرهم من شعراء كل الأزمان .. بعد اليوم لن يأخذ طيفها بتلابيبي في قاعة الدرس .. أو في الشارع أو المنزل أو وأنا بين الرفقاء في ساعات السمر .. غداً سوف تناقشني في الدرس .. سأسمع صوتها الذي لم أسمعه إلا خافتاً ونادراً كان ذلك السماع .. سأسمعه جزلاً مرحاً .. أو ربما سوف تبكي فأسر بنشيجها .. سادي أنا ..؟ لا .. بل إنه الفضول كما أعتقد .. لا أكثر ولا أقل .. هذه هي الطريقة الوحيدة لتحريكها ..

.. وفي اليوم التالي .. وقفت في غرفة الدرس كعادتي بلا ابتسامٍ ولا عبوسٍ .. أستاذ كمثل باقي الأساتذة .. وقفت أوزع أوراق الوظائف المكلفات بإنجازها في المنزل .. لشغل الفراغ في أوقاتهن .. وَصَرْفهنَّ عن

التفكير بنزواتٍ .. قد تؤدي بهن إلى مالا يُرضي ويُسر .. وأبدي الملاحظات على عملهن .. سلوى نالت العلامة ٣٣ .. أنت مقصرة جداً يا سلوى .. المطلوب بعض الجد والاجتهاد منك .. وإلّا فإن وضعك لن يكون مُسِراً .. لا لك ولا لأهلك معك في آخر العام .. ليلى علامتك هي ربع العلامة التامة .. والعلامة التامة كما تعلمين هي المائة .. وباعتبارك من المُبَرِّزات في علوم الحساب .. فكم تكون علامتك في هذا الحال .. قولي يا ليلي .. وردَّت ليلى بدون اكتراث .. الزمن زمن أرقام وليس زمن بلاغة وبيان .. وعلاماتي في العلوم سوف تجبر كسوري في اللغة العربية والتاريخ وجميع العلوم النظرية .. علامتي إذن هي ٢٥ .. لا وقت لدي للعمل على زيادتها يا أستاذ .. كلامك فيه بعض منطق يا ليلى .. ولكنه ليس كل المنطق .. وليس سيئاً ما قلته .. ولكنه أيضاً ليس بالحسن .. بالإضافة إلى أن خطك سيئ .. وقد أتعبتني قراءته .. فماذا تفلسفين هذا أيضاً يا فيلسوف العلوم ..؟ الأمر بسيط جداً يا أستاذ .. كنت في عجلة من أمري البارحة .. كان عندنا حفلة في النادي .. ولم أشأ أن تفوتني فتعجلت الكتابة فساء خطي .. الذي هو جميل في الأساس كما هو معلوم لديك .. ولن أتعجل ثانية إكراماً لك حتّى لا أتعبك .. وَضَحِكَتْ بخبث ولم أعَقّب ولم ألتفت لإجابتها ..

نادية .. لقد نلت العلامة ٧٠ .. هذا جيد ولكن هناك الأكمل والأجود .. وأنت تستطيعين تحقيقه .. ونهضت نادية من مقعدها ثائرة غاضبة محتجة .. عملي كان كاملاً وعلامتي توقعتها تامة يا أستاذ .. قالت نادية وعندما جاءت تواصل الكلام .. قاطعتها طالباً منها الجلوس والصمت .. وفعلت وهي تتمتم بما لم أسمع وأفهم .. وتابعتُ .. مُنى أنت الأولى ولكن من قعر العلامة .. ورفتك لم تنطق بصحيح أو ببعضه حتّى .. هذا وضع لا يجب أن يستمر يا منى .. أنت هنا لتتعلمي وأنت لا تريدين أن تفعلي .. مع أنك تملكين الموهبة لتفعلي وتتفوقي .. فلماذا لا تفعلين .. علامتك هي الصفر الذي لم يكن موجوداً في علوم الحساب .. قبل أن يخترعه أجدادك الأوائل .. ولكن مُنى كانت في شغل عني .. وعن محاضرتي التي أريد لها من خلالها التقدم .. كانت غير آبهة بي إطلاقاً .. وفي انشغال عني مُطِلّة من النافذة التي كانت تجلس بجانبها .. إلى رصيف الشارع المُقابل حيث أرى شاباً وسيماً .. يقف محتمياً بشجرة .. حتّى لا يراه أحد غيرها .. وهو يشير إليها بأصابع يده اليمنى الخمس .. وبإصبع واحدٍ من يده اليسرى .. أي الساعة السادسة .. هذا هو موعده معها .. أي بعد انتهاء دوام المدرسة بساعة واحدة .. ولكن ليس في هذا الأمر ما يعنيني . وألتفت إليها هي .. أراقبها محتمياً من فضول مراقبة تلميذاتي لتحركاتي بزجاج نظارتي .. إنها هيَ ذاتها

التمثال .. الذي لا يمكن أن تتبدل ملامحه .. أو تتغير أو تتأثر بالظروف التي به تحيط .. ما من تعبير على قسمات وجهها الجميل .. بعد قليل سوف يتغير الحال لا ريب .. سيحدث الزلزال .. ستأخذ الصدمة بمشاعرها .. وسيهتز منها الكيان .. وسيرتسم على وجهها أكثر من تعبير .. إيغار .. هذا اسمها طبعاً .. أطلقته من حنجرتي على لساني متمهلاً وبوضوح الوضوح .. وتوقفت برهة وغاص صوتي من جديد .. في أعماق عمق ذاتي .. وشعرت برعشة عنيفة تعتريني وتهز كياني .. ماذا فعلت ؟ كيف أمنحها تلك العلامة التي لا تستحقها .. كل رفيقاتها يعلمن أنها ليست تلك التلميذة الجادة المتفوقة .. فماذا سيقلن عني بعد لحظة .. وما هي الأوصاف التي سيطلقنها عليَّ .. وبالتالي أي ورطة أوقعتها فيها كما أوقعت نفسي .. ماذا سيقلن عنها وفيها .. المسكينة .. مسألة شخصية بيني وبين ذاتي .. لماذا أحشرها فيها .. لماذا أعَرِّض سمعتها للتلوث والتجريح بين زميلاتها ..؟ الخبيثات إنهن بعد لحظة سيبدأن الغمز واللمز وسيطلقن شتّى أنواع التعليقات .. وكدت أعود القهقرى وأعلن بأن ورقتها مؤجلة التصحيح لسببٍ يُبْدى بعد التصحيح .. ولكن دون شعور مني تابعتُ .. إيغار .. وتوقفت لحظة ثمَّ أكملت ..لقد نلت العلامة ٩٩ .. وَصَوَبْت نظراتي إليها حيث تجلس .. وَرَكَّزْتُ كلّ انتباهي عليها لئلا تفوتني لمحة واحدة .. من

لمحات انفعالاتها .. رفيقتها التي تجلس بجانبها .. هي التي انفعلت وهزت كتفيها سخرية .. بعد أن بدا الذهول على وجهها وشَعَّ من عينيها .. ونظرت في وجهي .. مُطلِقة المعنى الذي عَنَت .. بابتسامة يفهمها الغبي البليد .. قبل الذكي اللبيب .. وبتمتمة مموهة تُفْهَمُ رغم التمويه الذي تَغَلَّفت به قالت .. لماذا ٩٩ فقط يا أستاذ .. المائة تُعطيها إياها أحسن .. إذ ليس من يستحقها غيرها .. ورَمَقتْها بنظرة اجتاحتها .. من قمة رأسها حَتّى ما تحت صَدرها .. ولم تتمكن من الاستمرار بالغوص إلى أخمص قدميها .. لأنها كانت جالسة كما قلتُ بجانبها .. وزميلة ثانية لها .. تلك التي بجمالها تستعرض ذاتها دائماً .. مختالة مفاخرة بأناقتها .. التي إليها تجذب الأنظار بفاخر العطور المُلْفِتَة التي ترتديها .. اكتفت بإطلاق كلمتين اثنتين من فيها .. تعليقاً على ال ٩٩ .. العلامة التي نالتها إيغار .. الدنيا حظوظ .. أمَّا هيَ إيغار .. فإنها استمرت تمثال شمع مُتَجَلِّد .. إلهة مصنوعة من رخامٍ .. بأنامل من الغيب الذي لم يُدْركه مُدْرِكٌ .. من أهل البشرية الذين قدموا إلى الدنيا .. من نسل الوالدين آدم وحواء قبل الآن .. لا فرح ولا ترح بان على وجهها .. لم تهتز لم تتحرك .. لم تمتعض لم يبد عليها الارتياح .. ما من كراهية ارتسمت على وجهها وما من حب .. يا للفشل الذريع الذي به أصبتُ .. والجمود الساكن الذي سيطر عليَّ .. فجعلني في ذهولٍ مُلْفِتٍ .. وانتبهت

فجأة إلى أنني لست في منزلي وحيداً .. وإنني في غرفة الدرس .. الذي من أولى واجباتي فيها .. أن أتولى ضبطها فلا فوضى ولا ضجة .. إذ أن سكوني وذهولي جعلهن في همز ولمز .. وتهامس خرج عن نطاق الهمس .. إلى ميدان الضجيج .. وبالواقع كنت أنا الذي تسبب في ذلك الضجيج .. ولم آبه بكل ما جرى وما يجري حولي .. بل رحت أقرر الدرس الجديد .. وأنا في دوامة دوامات رهيبة من التأملات المُختلفة .. أتُراها أحبتني إذ منحتها تلك العلامة التي لا تحلم بنيلها .. أم أنها كرهتني واحتقرتني .. إذ إليها أتزلف ولها أخفض الجناح .. مضحياً بكبرياء رجولةٍ يجب أن تستمر متعالية شامخة .. الأمر المتوجب في التعامل .. مع حفيدات السيدة الوالدة حواء عليها منا التحية والسلام .. وبأيٍ من الحالين لم تُفصح .. إنها مخلوق قُدَّ من جلمود صخرٍ .. حَطّه القضاء والقدر في دربي .. ليُحَطِمَ كبرياء ذاتي الذي به أحطم كبرياء بنات جنسها .. بتجاهل عواطفهن نحوي .. وعدم الاكتراث بهن وتحطيم مشاعرهنَّ .. أمرٌ مؤلم هذا فلماذا أفعله .. أليس الأفضل أن أعامِلهن كما أحب أن يُعامِلْنني .. أقول هذا الآن بعد أن أوقعت نفسي في شرور تعاملي معهن .. مؤلم ذلك لا ريب .. إلا أنني لا يُمكن أن أكون غير ذاتي .. فعلى التعالي والخيلاء والتكبر والتجبر والغرور جُبِلْت .. والتحلل من هذه الجُبِلَّة يبدو مستحيلاً .. وخاصة الآن وأنا في ميدان

التحدي .. فلأستمر في الدرب الذي رسمته لنفسي إذن .. وبمحبتي سوف أحطم كبرياءها .. وبها سوف أقتل غرورها وتعاليها .. ولسوف أُخْضِعها وأجعلها تُقبل إلَيَّ تُسلِّمُني قلبها .. وقد رفعت فوقه الراية البيضاء .. الاستسلام الكامل بدون قيود أو شروط .. أو استمرار الحرب ضدها بسلاح علم النفس .. ما استمرت تقاوم الوقوع في غرامي أنا وسيم الوسيمين .. من العصور البائدة وحتّى العصر الحديث .. هل نسمي ذلك غروراً ..؟ فليقل من يقول ما شاء له أن يقول .. مادمت على قناعة مما آتي من تصرف . في مادة الإنشاء إيغار تحوز على العلامة ٩٩ .. في البلاغة ليس هناك أبلغ من إيغار .. فعلامتها لا يجب أن تقل عن ال ٩٩ .. إنما لا يجب أن تزيد لتبلغ المائة .. لأن المائة لا تجوز حتّى لأستاذها الذي هو أنا .. المائة هي علامة الكمال والاكتمال .. وما من كامل في الدنيا والآخرة .. إلاّ الله سبحانه وتعالى .. في الإعراب أعني إعراب الكلمات .. وليس الإعراب عن العواطف .. علامة إيغار ال ٩٩ .. أما الإعراب عن العواطف فعلامتها الصفر .. ولو كان في الأرقام أقل منه .. لكان العلامة التي تستحقها بكل جدارة .. في الشرح الأدبي ليس مثل إيغار .. من يعالج خلجات شعراء العرب أجمعين .. ويُفسرها دالاً على مقاصدها ومعانيها .. ولذلك فعلامتها ال ٩٩ .. وفي كلِّ مرةٍ وقبل أن أعلِن عن علامتها في قاعة

الدرس .. كان من رفيقاتها من يسبقنني إلى إعلان تلك العلامة .. التي هي بالتأكيد ال ٩٩ .. علامة عبقرية العباقرة .. التي لا يُشق لها غبار ولا تنطفئ لها نار الآنسة إيغار .. والتي أضحى اسمها على ألسنة زميلاتها الآنسة ٩٩ .. والأمر واضح وضوح شمس النهار .. هناك حكاية عشق وعشاق .. عاشق بلا عاشقة .. وهل تعشق من لا إحساس لها ..؟ كذلك كان تبادل النكات بين الخبيثات المتخابثات .. عندنا في عصرنا هذا جميل بدون بثينة .. وقيس بليلى تائهة في بحري القطبين المتجمدين .. الشمالي والجنوبي .. وجولييت لا تنتحر من أجْل العزيز روميو الذي هو أنا .. لأنها غير قادرة على الإحساس به وبمشاعره .. يا لبؤس روميو العصر الحديث .. حفلات السخرية هذه أصبحت دائمة .. وموزعة على ساعات الدوام الرسمي للمدرسة .. بين فرص الراحة وحتّى أثناء الدروس .. ببرودة ما بعدها برودة ..كنت أواجه سخرية الساخرات المُبَطَّنَة منها والمعلنة بأناقة .. مؤملاً بأن تُحرك فيها بعض مشاعرها .. التي لا شك تكمن في أعماقها .. إذ من غير المعقول أن تكون مجرد لوح من الجليد بلا إحساس أو مشاعر .. أو مِنَ المؤكد أنها أستاذة في فن التمثيل .. وتجسيد دور الفتاة التي لا تحس ولا تشعر .. متناقضات تتراكم فوق متناقضات تجتاحني.. فتجعل مني سخرية من نفسي لنفسي .

... اليوم استدعاني المدير إلى غرفته .. طلب إليَّ إحضار جميع أعمال الآنسة إيغار المنزلية منذ بدء السنة الدراسية .. وحتّى آخر عملٍ لها ..لم يفاجئني الطلب .. ولم أستفسر منه عن أسبابه ودواعيه .. رغم أن كل ملامح وجهه .. كانت تدل على أنه كان يتوقع ذلك مني .. ليبدأ معي حواراً ونقاشاً قد يتحول إلى جدال .. إلا أنني خيبت ظنه .. وببرودة إيغار الآنسة ٩٩ التي منها تعلمتها .. وبدون كلمة تنبثق من بين شفتي.. مُنْطَلِقةً على لساني .. أوحيت له بالسمع والطاعة باعتباره المدير .. صاحب الحق بمثل ذلك الطلب .. دونِ أي شرح لأسبابه .. هل من أمر آخر يا سيادة المدير .. نظر في وجهي متأملاً قسماته .. وكأنه يريد أن يقرأ شيئاً كان يتوقعه .. وخاب منه الأمل .. وكان جوابه .. كلا ما من أمر آخر غير هذا .. أريد الأوراق غداً صباحاً .. سأسألها ذلك .. رددت عليه وأنا في طريقي للخروج من باب غرفته .. وكانت أول كلمة قلتها وأنا أدخل غرفة الدرس .. ودون أن التفت يمنة أو يسرة .. ودون أن أنظر في أيٍ من وجوه تلميذاتي الخبيثات .. ودون أن أستدير إلى حيث تجلس الآنسة ٩٩ .. عنيت الآنسة إيغار قلت .. أريد جميع وظائفك وأعمالك المنزلية يا آنسة إيغار .. من يوم بدأنا السنة الدراسية معاً وحتّى هذا اليوم .. أريدها غداً صباحاً .. مع بدء اليوم الدراسي .. هزَّت رأسها بالإيجاب .. ولم تنظر في وجهي ولم تقل أيِ كلمة .. لم تنطق بحرف ..

لم يرتسم على وجهها أي تعبير .. وتابعت سيري إلى المنبر أعتليه .. لإلقائي الدرس الجديد .. همس وغمز ولمز .. وابتسامات ناعمة على شفاههن .. وملامح وجوههن وأعني تلميذاتي الخبيثات والطيبات معاً .. تُفصح عن علمٍ ومعرفة بما حدث في غرفة المدير .. إنهن لا يتشفين بما حدث لي وبما سيحدث .. إنما هي الغيرة من إيغار على ما أعتقد .. من تظن نفسها .. إنها لا شيء .. المحاباة التي تلقاها مني هي سبب غيظهن منها .. والاعتقاد أنهن هن الأحق والأجدر باهتمامي .. هذا ما أظن أنهن به يُفكرن .. أو هكذا صَوَّر لي غروري واعتدادي بنفسي .. اعتماداً على ما أعتقده وسامتي وشبابي المتوثب والمركز المرموق الذي أنا فيه .. ليس كوني مدرس اللغة العربية في مدرستهن .. بل نجوميتي في عالم الصحافة .. الذي جئت منها إلى التدريس .. كمكسب للمدرسة به تتباهى وتتفاخر .. المشكلة ليست هذه الآن .. إنما هي أعمال إيغار التي يجب أن تكون غداً بين يدي السيد المدير .. سيكون موقفي حرجاً جداً .. بماذا سأفسر التصرف الأرعن الذي أتيته وما زلت آتيه .. لا أدري .. وأعطيتهن ظهري واتجهت إلى اللوح الأسود .. مستغرقاً في حيرة خيارات كثيرة .. بها أتذرع للتخلص من المأزق الذي هو مأزق المآزق .. وبلا شعور مني بدأت أخط علي اللوح بالطباشير الأبيض موضوع الدرس الجديد .. ولكن ماذا يكون

ذلك الموضوع .. والطباشير بين أصابعي .. كتبت .. قيس بن الملوح .. صاحب ليلى .. أهو عاقل أم مجنون ..؟ التحليل مطلوب وإبداء الرأي .. في موضوع إنشائي .. لا يتجاوز السطور العشرين .. والوقت المحدد لكتابته نصف ساعة فقط .. ووضعت قطعة الطباشير من يدي .. واستويت على الكرسي وراء منبري صامتاً .. بدون أي تعبير على وجهي .. بينما كل الدهشة والذهول .. ارتسمت على وجوههن .. فالموضوع كما هو واضح وضوح الشمس .. استفتاء مكشوف على الوضع الذي نحن فيه جميعاً في قاعة الدرس .. وكأنني أردتهن يقلن رأيهن .. فيما يحدث بصراحة الصراحة بعيداً عن الهمس والغمز واللمز .. أو كأنني أردت أن أسألهن بصريح العبارة .. ودون لفٍّ أو دوران .. هل أنا ذاتي أستاذهن عاقل أم مجنون .. هذا كان الدافع غير المباشر لاختياري التلقائي لهذا الموضوع .. وبينما باشرن الكتابة .. كنت أسرح بالبصر بعيداً من خلال النافذة المطلة على الشارع .. وفي جو السكون الذي كان يُسيطر عليهن على غير عادة .. استفقت فجأة عائداً إلى ذاتي .. لأجدهن جميعاً قد وضعن أقلامهن .. وعقدن أذرعهن على صدورهن .. قبل انقضاء الدقائق المخصصة للكتابة .. كُنَّ يُحَدقن بي بنظرات دافئة من عطف وحنو .. وكأنهن يردن قول شيء هو في الواقع أكثر من شيء .. شيء يُفهم ويُدْرَك

ومستحيل قوله .. ورمقتهن بنظرة جاءت أكثر دفئاً من نظراتهن .. فيها كل الحب المتسامي السامي .. تبعتها ابتسامة تلقائية ناعمة .. كانت بمثابة محاضرة في المشاعر الإنسانية .. وبين إصبعي أمسكت قلمي .. الذي كان مستلقياً على منبري أمامي .. ونقرةً نقرت به وأتبعتها بنقرة أخف منها .. وبصوت هامس خفيض قلت .. أسمعينا رأيك يا ليلى يا عاشقة العلوم .. المتيمة بالأرقام .. بما عانى قيسنا المسكين ذاك من حبه .. بمقاييس تفكيرك العلمي .. وما قاست من ذلك الحب سميتك ليلى العامرية .. التي كانت مُدَلّهة بحب قيس .. والتي أرغمت على التزوج من غيره لتُرضي والدها .. الذي أجبرها على الزواج من غيره .. نهضت ليلى واقفة وقالت .. ليلى العامرية لأنها كانت عاقلة .. تزوجت بغيره وهو المجنون .. الذي لا يملك من مقومات الزواج .. ما يؤهله لبناء عائلة تستطيع الاستمرار في المجتمع دون تعثر .. فالشعر لا يُطعم فماً ولا يُشبع معدة .. حَتَّى ولو كان صاحبه الحطيئة .. الذي كان يعيش من هجاء الناس بشعره .. والذي أودى به إلى السجن .. بحكم أصدره ضده الفاروق عمر بن الخطاب .. شأن الأحكام التي تصدر هذه الأيام ضد كُتَّاب وصحافيين وشعراء وأدباء .. لأنهم يمارسون ما يعتقدونه الحرية .. والدها إذ أراد لها الزواج من غير ذلك المجنون .. فإنه انطلق من حساب دقيق .. ذلك أن المجنون

قيس .. لا يستطيع أن يُسكن ليلاه في بيت من الشِعر .. لأن السكن لا يُمكن أن يكون إلا في بيت من الشَعْر .. والطعام لا يُطبخ في أوان من القوافي .. كما لا يُشترى بالفصاحة والبلاغة والجناس والطباق .. وما إلى ذلك من فنون الأدب .. التي تُضيع الوقت في دراستها ومذاكرتها .. إنما يحتاج إلى مال لا يمكن الحصول عليه إلا بالعمل الجاد المنتج .. الذي يستفيد منه المجتمع ويتبادل نتاجه ناس المجتمعات .. والشعر كأدبٍ إذا وافقنا على أنه نتاج جمالي .. يغذي الروح التي تحتاج إلى الغذاء كما الجسد تماماً .. فإنه من الكماليات التي يُمكن الاستغناء عنها .. ولا تحتاج إليه الأساسيات عند توافرها .. هذا بصرف النظر عن أن الحب يا أستاذ .. مجرد نزوة شبق محمومٍ حارة .. لا تلبث أن تهدأ وينطفئ لهيبها بالاعتياد .. وبعدها تعود الحياة طبيعية .. تحتاج لطبيعة الحياة وليس للتهويم في دنيا الأوهام والخيال .. والأدباء والشعراء في عصرنا هذا .. ورغم كل التطور الذي حدث في المجتمعات .. فإنهم أغنى أهل المواهب بالبؤس والشقاء .. لما يعانون من فقرٍ وعوز واحتياج .. وبما يكتمون في أعماق نفوسهم من ندم .. متمنين لو أنهم كانوا قد استمعوا لجماعات الأرقام أمثالي .. الذين تقول حساباتهم بتساوي حاصل ضرب الطرفين بالوسطين . الحياة ليست مادة .. بل هي روح قبل أن تولد المادة ظهيراً لها .. صاحت ناديا من الجانب

الآخر من الغرفة .. وكأني بها أرادت أن تُخْرس ليلى .. إذ أحسست أنها قد تجاوزت في قسوتها على الحب والمحبين .. وبالتالي تجاوزت مُشتطة تَصِمُ أستاذها الذي هو أنا بالجنون .. قيس لم يكن مجنوناً إذ أحب ليلى .. وليلى أحبته من شغاف قلبها .. وقد أكْرِهَت على الزواج من غيره .. وما تمَّ ذلك برغبتها وانطلاقاً من قناعتها .. لأنها كانت تتمتع بتفوق روحانيتها .. التي هي فوق المادة .. وهي أول ما خلق الله في الإنسان .. الروح هي الباعث على تحرك الجسد .. وبدون روح يُنقل الجسد إلى القبور .. وشعرُ قيس خالد وخَلَّدَ قيساً وخلَّد ليلى العامرية معه .. بينما زوج ليلى ووالدها ملعونان إذ يُذكرا مع حكاية قيس وليلى .. بل إنهما منسيان ليس هناك من يذكرهما .. الشعر الذي هو بعض الأدب .. هو الروح التي تُحَرك السواكن .. والماء الساكن آسن .. فيه تتوالد الجراثيم والحشرات .. وتسكن على وجهه وفي قلبه الحشائش .. وهو على ذلك لا يصلح للوضوء .. والوضوء من الإضاءة التي تنير القلب والجسد قبل الصلاة .. التي هي مواجهة العبد مع ربه .. والشعر حروف تراصَّت نابضة بالحياة .. ترتقي سلالم التسامي إلى كلام العلي القدير .. في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم .. والله سبحانه وتعالى هو الذي قال في خلق السيد المسيح عيسى بن مريم .. بعد بسم الله الرحمن الرحيم .. فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا

إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا .. قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا .. قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيا..صدق الله العظيم..روح الله هي التي تمَثَّلت بالبشر .. البشر الذي هو أدنى مرتبة من الروح .. البشر الذي هو المادة والأرقام .. التي عنها تتحدث رفيقتنا ليلى .. سَمِيَة ليلى العامرية صاحبة صاحبنا قيس بن الملوح .. ومريم بنت عمران عليها السلام .. من ذلك البشر استعاذت راجية أن يكون تقياً وليس فاسداً..باعتباره من بني البشر..حيث طمأنها أنه رسول ربها إليها ليهبها غلاماً زكيا..وإنه ليس بشراً عادياً من بني البشر..ولهذا فإن العودة إلى الروح بالنسبة إلى الإنسان هي الأساس..والتجرد منها مهرولاً إلى الأرقام..هو انفصام عن الجذور مما يُسبب الجفاف الذي يعني الموت..ولهذا فإن صاحب ليلى ابن الملوح..كان هو العقل وصاحبته ليلى معه .. ومن خالفه ووصمه بالجنون هو المجنون..الذي تَجَنَّى على الطبيعة بجنونه .. وجاء يفرض هذا الجنون عقلاً .. العقل هو الحب والحب هو العقل .. والحبُّ هو حبُّ الحب .. الذي يعني الخير وحده دون سواه .. وبوضوح نفيٌ الشر الذي هو الشيطان .. الذي سبب الآلام لبني الإنسان .. الذي هو بها الآن منذ أول الأزمان .. بإغواء الوالدين آدم وحواء .. مما تسبب بطردهما من الجنان .. قيس لم يكن مجنوناً ولا صاحبته ليلى .. و .. وانطلق صوت مني من زاوية

الغرفة عند النافذة .. التي من خلالها تغازل ذلك الشاب الوسيم .. الذي يختفي خلف شجرة التوت .. بانتظار انتهاء وقت الدراسة لتخرج إليه .. صاحت ليلى .. كفاكم جدلاً وتعالوا نحيا لحظتنا التي نحن فيها الآن .. قبل أن تنقضي ويفوت الأوان .. ودعوا ليلى وصاحبها قيس في قبرهما متعانقان .. وكفاهما القلق الذي تسببتم لهما فيه في حياتهما الدنيا .. بالتفاهات التي بها تؤمنون .. دعوا الناس في حياتهم وعيشوا حياتكم .. بعيداً عن فلسفات المتفلسفين التي تجعل من الحياة الجميلة السهلة .. حياة بشعة معقدة صعبة .. وبينما كانت منى مسترسلةٍ في محاضرتها عن الحياة السهلة المرسلة .. كنت أنا بنظراتي وإحساسي مع الآنسة ٩٩ إيغار .. التي كانت وكأنها غير موجودة في ذلك الغُمار من القيل والقال .. إنها هي كما هي لم تتغير ولم تتبدل .. ولا يُظن أنها سوف تفعل .. إنها تمثال رخامي جميل يتحرك .. إنما لا يحس ولا يشعر .. وما أنا الذي سيتمكن من الإيتاء بمعجزة تحويلها من رخام إلى إنسان .. ومن ذهولي ذاك واستغراقي في ذات نفسي .. انتشلني جرس انتهاء وقت الدرس الذي قرع .. مُنهياً محاضرة مُنىَ التي لم تأبه لإتمام محاضرتها .. إنما تأبطت حقيبتها وأسرعت تخرج من قاعة الدرس .. إلى حيث تعيش لحظتها كما آمنت بها .. مع الحبيب المُنْتَظِر عند الزاوية مختفياً وراء شجرة التوت .. بينما كنت أجمع

أوراقي لأغادر قاعة الدرس بدوري .. أسوة بتلميذاتي اللواتي كن أعجل مني في المغادرة .. وكانت إيغار تمشي الهوينا من حيث مقعدها .. متأبطة حقيبتها .. متوجهة نحو الباب .. لا هي مطرقة إلى الأرض ولا هي ناظرة إلى أعلى .. كانت مجرد شيء يتحرك على الأرض .. لا تنسي يا إيغار .. قلت لها وقد مرت من أمامي .. ولم ترد بل واصلت سيرها إلى باب الغرفة .. وتمنيتها تنسى حتّى تجنبني الحرج أمام السيد المدير .. أو تمنيتها لو تتغيب عن المدرسة في الغد .. لتتجنب هي نفسها الحرج الذي أوقعتها فيه .. إنما ذلك لم يحصل .. بل أنها كانت في صباح اليوم التالي أول من تقدم إلى منصتي .. تلقي عليَّ تحية الصباح .. وتقدم إليَّ جميع ما كنت صححت لها من وظائف .. وما منحتها من علامات ال٩٩ .. ولم تنظر في وجهي .. إنما إلى الأرض كانت مطرقة بدون أي تعبير أو انفعال .. وبصمت تناولت منها ما أعطتني .. ونهضت متجهاً إلى باب الغرفة متوجهاً إلى غرفة المدير .. هروباً من نظرات تلميذاتي وتعليقاتهن .. وغمزهن ولمزهن الأمور التي تعودت عليها منهن .. مواجهة السيد المدير كانت عندي أرحم من مواجهة تلميذاتي العزيزات .. أي والله عزيزات أحبهن كلهن رغم المعاناة التي ألاقيها منهن .. رغم ذلك لاحظت قبل أن أخرج من الباب .. بعض تهامس وغمز ولمز وابتسامات .. إيغار بالمناسبة كانت ذلك اليوم ترتدي

ثوباً أحمر بلون الدم القاني الأرجواني القرمزي .. الذي كان أجدادنا الكنعانيين قد اكتشفوه في غابر الأزمان .. وداروا به على شواطئ العالم .. مخترقين بحر الشام السوري .. إلى بحار الدنيا يرسون في موانئها .. يؤسسون على شواطئها الطروادات .. محطات إقامة لهم .. هي أسواقهم التي يبيعون فيها الأرجوان القرمزي .. وأفاويه بلاد الشام .. ويُعَلِّمون ناسها الأبجدية الأوغاريتية التي كانت أول أبجدية كُتِبَت في التاريخ .. بالمناسبة نسيت أن ألاحظ أن إيغار أو الآنسة ٩٩ تمتلك أنفاً كنعانياً انسيابياً آسراً تعلوه عينان سوداوان فتّاكتان .. يغفو على شفتين رقيقتين لفمٍ كفستقة حلبية من شقيها يبدو بعض لسان أحمر .. لطالما تمنيته يحدثني ببعض ما يعتمل في أعماق تلك الإيغار .. إلا أنه لم يفعل وما أظنه سوف يفعل ذات وقت .. ولكن لماذا أنا في تلك الأفكار وذلك الانفعال .. ؟ إنه تهرب من الحال الذي سأكون فيه مع السيد المدير .. المأزق الذي سأواجهه .. لست بالجبان الذي سينكر واقع الحال .. الذي أدى إلى ما أنا فيه من حال .. سأقول له الواقع باختصار .. ذلك أنه شأني الذي ما كان عليَّ إيتاءه في حرم المدرسة .. وعن ذلك سوف أعتذر منه .. وسأنسحب بعدها غير مُتيح له مناقشة التفاصيل معي .. دخلت غرفته مُقطب الجبين عابساً .. ولم ألق عليه تحية الصباح .. وكل الذي فعلته أنني رميت الأوراق على

طاولته .. واتخذت مقعدي أمامه دون استئذانه .. وأشعلت سيكارتي وبدأت أنفث دخانها في مواجهته .. في حركة استفزاز وتحدٍ .. لاصطناع خلاف يؤدي إلى شجار .. إلا أنه لم يأبه بي بل لم يلتفت إلى استفزازي .. بل تناول الأوراق باهتمام بالغ .. ينظر فيها بتفحصٍ وتمعنٍ .. ومقصده الإمساك بما يدينني قبل أن يدخل في جدال معي يؤدي إلى خلاف .. ينتهي بما يعتقده عقاباً يجب أن يُنزل بي .. كوني ارتكبت حماقة ما كان يجب ارتكابها من مدَرس .. توحي بذلك ملامح عبوس وتجهم مرتسمة على وجهه .. وما أبهت بذلك لأن قراري قبل الدخول عليه كان .. عليَّ وعلى أعدائي .. إذا كان لي من أعداء .. ولماذا يعاديني المدير .. وبين نفسي ونفسي .. رحت وأنا أحدق في وجهه .. أعطي المبررات لنفسي بما فعلت .. مصراً على أنني لم ارتكب خطأ .. ومن يمكن أن يدافع عن ذاتي إلا ذاتي .. من بين شفتي المدير كانت تنطلق تمتمات خافتة بتعليقات ساخرة .. في الثاني من الشهر كانت إيغار تستحق العلامة ٢٥ .. وأنت منحتها العلامة ٩٩ .. لماذا كان ذلك ؟ وعاد يستغرق في قراءة الأوراق .. بينما كنت سادراً أحدق في دخان سيكارتي .. الذي كان يحجب وجهي عن السيد المدير ويحجبه عني .. في السابع من الشهر علامة إيغار لا يجب أن تتجاوز ال ٣٠ .. وأنت أعطيتها العلامة ٩٩ .. لماذا ذلك الكرم الحاتمي يا

أستاذ .. هل أنت في تنافس مع الأخ حاتم الطائي .. هو كريم في نحر الإبل لإطعام الضيوف في مضارب عشيرته .. وأنت في منح العلامات جزافاً لتلميذة واحدة من تلميذاتك .. دون باقي التلميذات .. لماذا هذا التمييز يا سيادة الأستاذ ..؟ قالها مستهزئا بابتسامة ساخرة .. في التاسع من الشهر إيغار تستحق العلامة ٣٩ فقط لا أكثر .. وهي كما أراها هنا على الورق ٩٩ .. وبدت ملاحظاته غاضبة محتارة في التعبير عن ذاتها .. مراوحة بين غموض ووضوح .. في التعبير عن بدء اقتناع بشيء لم أبال باكتشافه .. ولماذا أفعل وقد قررت هدم المعبد عليّ وعلى أعدائي كما من قبل فعل الأخ شمشون الجبار .. لن أحتمل أية كلمة جارحة منه .. سأقدم له استقالتي فوراً وسأذهب من حيث أتيت .. شهيد الحب المجنون .. أنا عاشق إذن باعترافي الواضح الصريح .. هكذا قالت نفسي .. والعشاق يُضَحّون .. ولكن في سبيل من تضحيتي هذه .. وما هي الأضحية التي أقدم .. ولمن أقدم تلك التضحية والأضحية ..؟ وماذا ستستفيد إيغار من تضحيتي إذا كانت التضحية في سبيلها .. ذلك المخلوق الذي لا يضحك ولا يبكي .. لا يحس ولا يشعر .. ذلك الكائن المرمري الذي لا يفرح ولا يحزن .. وَيلي .. مجنون أنا إذن .. هذا ما قلته لنفسي ونظرت إلى المدير متنمراً متحفزاً لمهاجمته بأقذع قول لدي .. بينما كان يطلق تمتمات بصوت نصف

مفهوم .. إيغار من الثاني من الشهر إلى التاسع منه .. قفزت عن جدارة من العلامة ٢٥ إلى الضعف .. إلى العلامة ٥٠ .. كيف تم ذلك ؟ واختفت علامات السخرية والاستهزاء من قسمات وجهه ..ماذا حدث ؟ نفسي أنا لا أعلم .. ذلك الذي كان عليَّ أن أعلمه وألاحظه .. قبل أن يلاحظه السيد المدير ويتنبه إليه .. إنه الآن يقرأ أوراق إيغار بجدٍ وتمعن .. كتربوي محترف يريد أن يكتشف شيئاً .. من خلال تلك الأحجية التي يحاول حلَّ رموزها .. بينما إليه أنا أنظر .. من خلال دخان سيكارتي بذهول المذهول الكامل .. إنني لست رجل تربية وتعليم .. أنا رجل أدب وصحافة انتدبتُ للتعليم باعتبار اسمي الصحافي .. ولم أغص يوماً في مثل تلك المصطلحات التربوية .. بعد حوالي ربع ساعة أخرى مرت .. والسيد المدير في حالة قراءة واستغراق فيما يقرأ .. وأنا في حالة قلق واستغراق في ذلك القلق .. رفع السيد المدير رأسه عن أوراق إيغار ونثرها ككنانة المحارب أمامه وبين يديه .. وقال بصوت هادئ كله تقدير واحترام .. إيغار لا تستحق العلامة ٩٩ إلّا منذ أربعة أيام فقط .. هي تستحقها فعلاً .. مقارنة بعملها الأول الذي هو أمامي .. وعملها الأخير الذي هو أمامي أيضاً .. لقد خرجت من ذات نفسها وأخْرَجَتْ من عمقها إبداعات جمالية .. من المعاني والألفاظ والصور الأدبية .. واخترقت موضوعات إلى موضوعات في ترابط

منطقي .. وتسلسل سهل ممتنع .. إنها انتقلت من مجرد تلميذة تكتب موضوعات الإنشاء الأدبي .. إلى مشروع أديبة ينتظرها مستقبل لا مع رائع .. وأرى .. قال المدير .. أنك تدين لي باعتباري المدير .. بشرح وافٍ عن الطريقة التربوية .. التي اتبعت للوصول إلى هذه النتيجة الرائعة .. التي أرى أنها جديرة بالاتباع .. وهل يمكن تطبيقها على العموم أم أنها يجب أن تقتصر على خصوصيات مشروطة .. لقد تمَّ هذا التطور المذهل من الثاني من الشهر الحالي إلى الثلاثين منه .. والاستمرار فيه قد يُعطي نتائج أنضج وأثمن .. هذا إذا استطعنا تجنب التشويش الرهيب .. المندلع بين زميلات إيغار في غرفة الصف .. فهل ستقدر على ذلك يا أستاذ ..؟ في الواقع كنت أنا في ذهول مما كان يقوله السيد المدير .. ذلك أنني ما كنت أعرف عن ماذا كان يتحدث .. وإن كنت بدأت ألمُّ بما حدث .. والذي دفع إلى ما يحدث الآن .. من ناحيتي ما كنت في الواقع .. أقرأ ما كانت إيغار تكتبه .. إنما كنت أعطيها العلامة ٩٩ .. لأنني كنت أريد أن أعطيها إياها .. لأحرك كامن نفسها ولأدفع بها إلى الفضول والتساؤل والاستيضاح .. لإنشاء اتصالات وعلاقات لا تخرج عن المشروع .. في العلائق الإنسانية .. فهل أقول هذا للسيد المدير .. خبير خبراء التربية والتعليم .. فأفضح نفسي أنا الذي رميت .. وجاءت رمية في هدفٍ تربوي متفوق .. من رامٍ طائش لا

يعرف شيئاً من مبادئ التربية والتعليم .. أم أذهب في الغي والتظاهر بعيداً فأصمت صمت المتعالم المتظاهر بالعلم .. أم ماذا أفعل في مثل هذا الموقف الحرج .. ؟ وهنا سمعت السيد المدير يسألني ثانية .. ما هي الحكاية يا أستاذنا ..؟ جميل جداً .. صرت أنا الآن أستاذه وهو أستاذ الأساتذة .. صاحب الاختصاصات المتميزة .. في مجالات التعليم وأساليبها .. وانتابتني النفخة الكَذّابة .. وانتفخت مني الأوداج .. وركّزت نظارتي القراءة فوق أنفي .. الذي هو أنف كنعاني عريق .. ينتمي إلى ذات أصول أنف الآنسة إيغار .. والذي تعلوه عينان سوداوان جميلتان في الظل .. تتحولان في الشمس إلى اللون القريب من الخضرة .. كتحول عيون القطط .. غريب أنا أليس كذلك ..؟ هل هذا وقت حديثٍ عن العيون الفتّاكة وجمال الأنوف الكنعانية ..؟ وجمعت شتات تفكيري وأنا أنظر إلى السيد المدير من خلال نظارتي .. التي لا أرى من خلالها من هو بعيد عني .. لأنها نظارة قراءة كما أسلفت وقلت .. وبصوت هادئ خفيض واثق قلت .. إنها طريقة تربوية تعتمد على الإيحاء وتقوية الموحى إليه .. وإقناعه بمواهب يمتلكها وهو لا يمتلك منها شيئاً .. ليعمل جاداً على امتلاكها والوصول إليها .. إنها طريقة لا يمكن تعميمها على نطاق واسع .. إنما بشكل إفرادي .. يعتمد على تبادل الثقة .. بين الموحي والموحى إليه .. وهي الآن في الطور الأول من

التجريب .. وباستمرار التجريب يمكن التطوير والتعديل .. حتّى نصل بها إلى مرتبة النظرية .. التي يمكن تعميمها للاستعمال العام . إنها تجربة نجحت يا سيادة المدير .. وأطرق السيد المدير يُفكر .. بينما تابعت أنا بيني وبين ذاتي أخاطبها بصوت عالٍ .. موَجَّهاً إلى أعماقي .. بحيث يدوي صداه في تلافيف كياني .. أصيح به .. أنا فاشل وجبان إذ لم أقل الحقيقة .. ودنيانا على هذا المنوال من الزيف تسير .. فالزيف يصير حقيقة والحقيقة تصير زيفاً .. يا للمهزلة التي نعيشها نحن أولاد آدمْ وحواء .. في هذا الخواء الكوني . الملعونات الشقيات تلميذاتك .. قال المدير .. يتهمنك بحب الآنسة إيغار .. حتّى كدت أصدق هذه الاتهامات عنك .. ولكن لا بأس .. إنهن يصدرن عن انفعالات المراهقة .. التي يجب معالجتها بالأناة والصبر .. والسؤال الذي يخطر على بالي الآن هو .. كيف ستستطيع تعميم هذا الأسلوب وتلك التجربة على باقي التلميذات .. ؟ تساءل .. من المستحيل أن يحصل ذلك .. ضحكت وأنا أهمس بذلك لنفسي ناظراً في وجه السيد المدير .. المدير الذي قال أن تلميذاتي يتهمنني بحب الآنسة إيغار .. إن هذا ليس اتهاما يا حضرة المدير .. إنه الحقيقة الواقعة .. لم أقل هذه الكلمات للمدير أيضاً .. إنما لنفسي قلتها وأنا أنظر في وجهه .. بتعبيرات جامدة على وجهي .. لا تُفصح عما في نفسي .. أنا أحبها فعلاً .. ولكن

الحكاية أنني لا أستطيع أن أقول أنها تُحبني .. أو أنها لا تحبني وما من أحدٍ يستطيع أن يصدر حكماً عليها .. لأنها حتّى الآن ورغم كل ذلك الضجيج المثار حولها .. لم يرتسم على محياها أي تعبير يدل على ما بداخلها .. أنا عليها ناقم .. أريد أن أحس بأنني أكرهها .. أشعر بأنني أوّد أن أصفعها .. أو أن تصفعني .. أن تقف في قاعة الدرس وبكل جرأة تصيح بي .. أنت منافق مداهن يا أستاذ .. فأنا لا أستحق هذه العلامة .. أو أن ترسم على شفتيها شبح ابتسامة .. وتقول بتمتمة ولو غير واضحة .. شكراً يا أستاذ لقد وصلت الرسالة .. حتّى ولو لم تُفصح عن ردٍ واضح .. على تلك الرسالة التي تَسلَّمَتْها .. وكان هذا الأفضل بالنسبة لما أتمنى .

... وإلى قاعة الدرس عدت حزيناً كاسف البال تتقاذفني أفكار وأفكار .. وكان نبأ ما جرى في غرفة المدير .. قد صار إلى تلميذاتي العزيزات بالتفصيل .. عبر أم بهيجة عاملة التنظيف .. التي كانت طوال اللقاء الذي تم بيني وبين المدير..تتسكع في الغرفة الفسيحة.. وبيدها مكنسة تكنس بها..أو ممسحة بها تمسح.. وكنت أرى أنه ما كان هناك ما يُكنس أو يُمسح..إنما عن عمد كانت تفعل ما تفعل..لتعود بالأنباء إلى اللواتي كلفنها بمهمة التجسس هاته..مقابل ما يُثري جيبها..هؤلاء الشيطانات هن أنفسهن كن سبب ما جرى لي ولولاهن ما جرى ما جرى..لا..في الواقع أنا

كنت سبب ما جرى .. فلماذا ألقي التبعة عليهن بلومهن على ما جرى ..؟ كان يجب عليَّ أن استمر أستاذاً .. لا يتعرض لتلميذاته بشعوره الخاص .. كان يجب عليَّ أن أقصر همي وتفكيري بالأخطلين الكبير منهما والصغير .. بالسيد أمرؤ القيس .. بابن الرومي .. بأبي تمام .. بقيس ليلى وقيس لبنى .. وزميلهما في العشق العذري جميل بثينة .. والعيون التي في طرفها حور .. قتلننا ثم لم يحيين قتلانا .. هكذا قال ذات وحي انتابه وهو يتغزل ببثينة .. أولئك العشاق الذي عانوا ما عانوا من ضروب الاضطهاد والعذاب .. الذي لا قوه من جرّاء كلام الناس .. وحالي الآن من أحوالهم . كان الصف هادئاً ساكناً عندما دخلته .. بالحزن الذي كان ينبض به كامل كياني .. ووراء منصتي استويت جالساً سادراً في خيالات أفكاري .. وفتحت كتابي وقبل أن أبدأ بشرح درس اليوم .. رفعت رأسي وإليها .. إلى الآنسة ٩٩ .. إلى إيغار نظرت .. لتلتقي عيني بعينيها لأول مرة تأكيداً .. بينما كانت أعين جميع من في الغرفة .. تتنقل بيني وبينها .. وكأنها كانت تتوقع شيئاً ما يجب أن يحدث .. كما يتوقع مشاهدو مباراة كرة القدم هدفاً سوف يسجل في الهدف .. لن يستطيع الهدَّاف التقاطه .. ولأول مرة شعرت بشبح نظرات دافئة حانية .. تطل من عينيها الفتاكتين وأحس فيهما نَمِراً .. شراسته الحب والحنو والتجاوب والعطاء .. لم يكن قيس

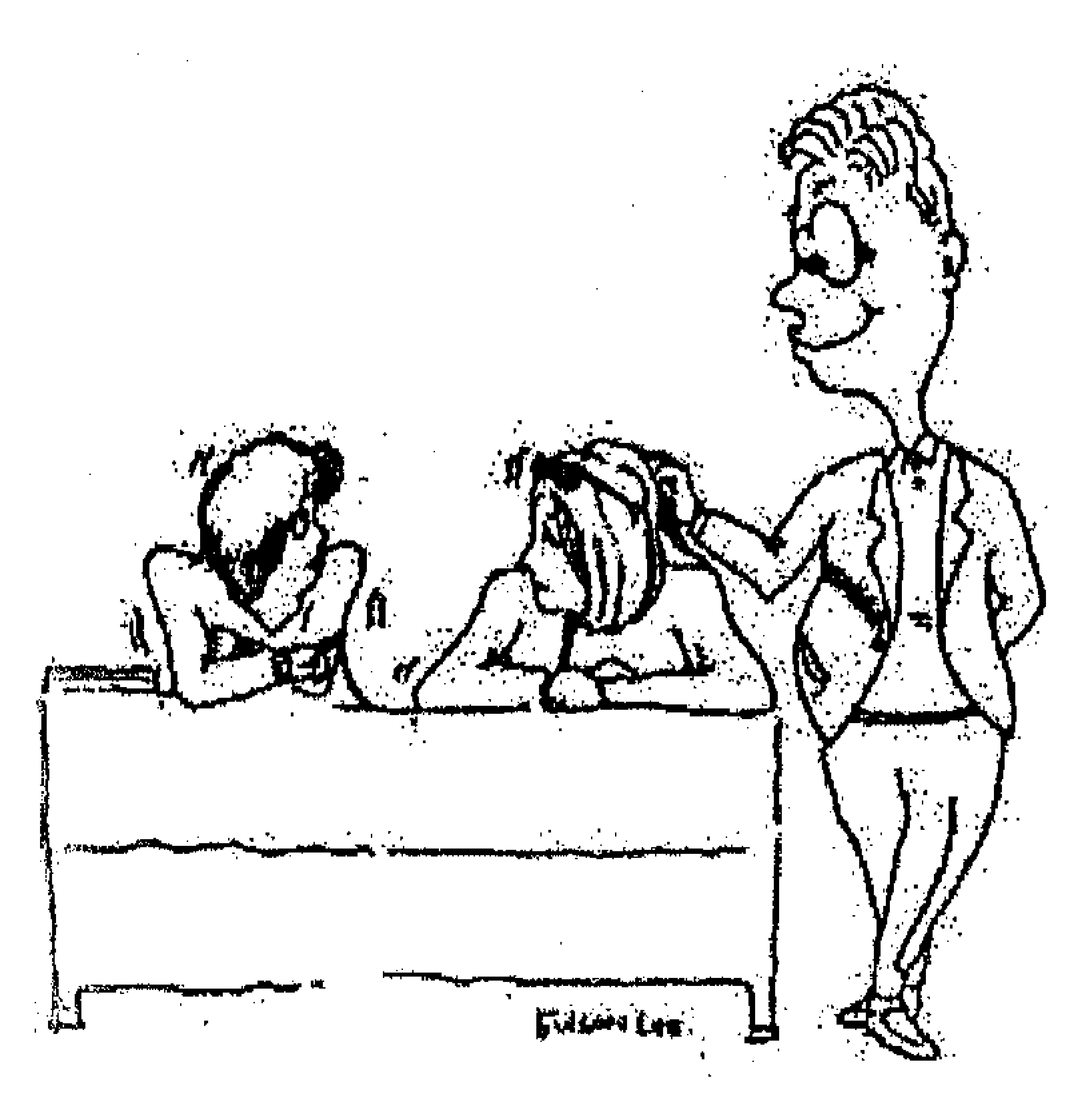
مجنوناً إذن بل كان يحيا في حضن تلك العواطف .. التي تبعث فيه حياة هي حياة الحياة ولبها .. كم فاتكم من متع الحياة .. أنتم الذين وأنتن اللواتي لم تحببن ولم تحبوا .. إلى الموت سار قيس بحبه بقدمين ثابتتين .. إيغار أحست بي أخيراً .. أو كانت تحس ولا تبدي .. وقد كان هذا حياء الأنوثة الذي لم أحسب له أي حساب .. أكان هذا منها نتيجة لابتهالي الصامت .. منادياً عليها .. طارقاً أبواب قلبها ..؟ أم إنني في تصوري لما أتصور مازلت أحلم .. وكما كان حلمي يتصور تمرداً وبرودة فيها ومنها .. فهو يتصور اليوم العكس منها .

.. الصف مازال في سكونه العميق وهدوئه المريب .. وكأن تلك الإشعاعات المنبعثة حارة ملتهبة من جانبي الغرفة .. حيث تجلس هيَ وأجلس أنا .. قد شحنت الجو بالأسى والحنو علينا نحن الاثنين .. فإذا بالخبث والشقاوة والمشاكسة والهمس والغمز واللمز .. تنقلب بقدرة الحب الذي سيطر وحَكَمَ وتَحَكَّمَ .. إلى صمت يُعَبرُ باحترام لإرادة هي فوق الإرادة .. إذ لا سيطرة على مشاعر القلب الذي يملكه المرء .. ولا يُمكنه تملك خفقانه ونبضاته .. اللهم لا تؤاخذني فيما لا أملك .. قالها رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين .. في حبه لعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وأرضاها . وألقيت الدرس بصوت خفيض رتيب متألم .. وأنا أتأمل وجوه تلميذاتي واحدة بعد أخرى ..

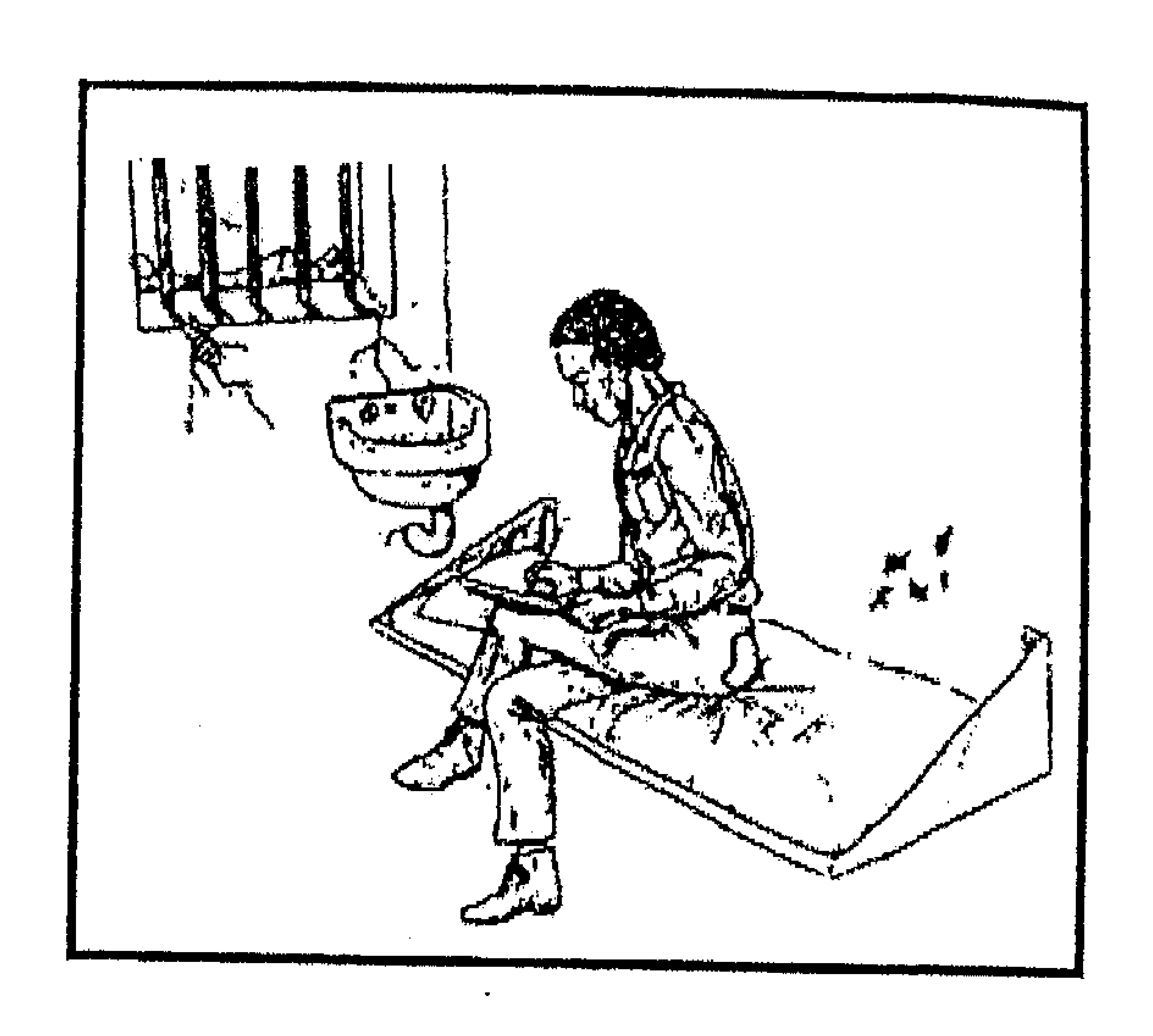
وكانت دموع لا ريب أنها حارة تلمع في عيني تلك السمراء التي تجلس في الركن هناك .. واحدة منها سالت على خدها الأيمن .. بينما دمعة أخرى كانت تتهيأ لتغادر من عينها إلى خدها الأيسر .. هي ذاتها الفتاة التي طالما سألتني .. عن العيون التي في طرفها حور .. لتستدرجني إلى حديث حب وغزل .. إنها الآن ذات العينين اللتين في طرفيهما دموع .. دموع تقتل لتحيي لا لتُميت وتُفني .. كما العيون التي في طرفها حور .. التي تقتل ولا تحيي من قتلت بعد ذلك .. وتلتقي عينيَّ بعد ذلك بعيني تلك الخبيثة الشقية الممشوقة القوام .. التي ما كان لها من همٍّ وما كان يُشغلها ويسيطر على تفكيرها .. إلا الاستفسار عن المليحة في الخمار الأسود .. التي فعلت ما فعلت بالناسك المتعبد .. الذي كان قد شمرَّ للصلاة ثيابه .. عندما خطرت له بباب المسجد .. ردّي عليه صلاته وصيامه .. قال الشاعر .. لا تقتليه بحق دين محمد .. لماذا افتتن بها وهي متسترة وراء خمارها يا أستاذ ..؟ كانت تقول لي .. ربما أنها جاءت تخطر بباب المسجد لتصلي وراءه ظهراً أو عصراً .. وهل في العينيين كل تلك الفتنة .. التي تصرف ناسكاً متعبداً عن وضوئه وصلاته والتبتل لربه ..؟ ماذا أقول لتلك اللعينة .. التي هي للشيطان الرجيم صنو وند .. وتغمز بطرفٍ من عينيها الساحرتين برموشها السوداء الداكنة..وحاجبيها اللذين هما كالخمار

الأسود .. الذي تتحجب وراءه المليحة التي خطرت للناسك المتعبد بباب المسجد .. وسلبته صلاته وصيامه .. وصرفته عن توجهه لربه .. وأنا فيما أنا فيه من تأمل وتصور وتخيلات .. انتهى وقت الدرس وقرع جرس الفسحة والراحة من الدراسة .. وكنت أتمناه غير منته ودائم إلى الأبد .. وانسلت تلميذاتي واحدة إثر أخرى إلى الخارج .. أشعر إنني أحبهن جميعهن .. كُنَّ وكأن على رؤوسهن الطير .. الذي لا يمكن أن يرتاع ويطير من فرط سكونهن وهدوئهن .. وكأنهن شعرن بذنب ارتكبنه .. وما ارتكبن ذنباً إنما كل ما جرى .. جاء تلقائياً عن غير عمدٍ أو سوء نوايا .. وكانت إيغار آخر من غادر مقعده .. تمشي باتجاه منصتي بتؤدة وتمهلٍ .. حتّى إذا ما كانت بمواجهتي .. وقفت أمامي وكانت تعقد كفيها على صدرها وكأنها في صلاة .. وما أجمل الجمال عندما يكون في تبتلٍ مُشعٍ بجمال الجمال .. هكذا كانت إيغار في تلك اللحظة .. إنها ليست تمثالاً من جليد .. إنها قلب ينبض بالحرارة التي هي دفء وليست للحريق والإيذاء .. إنها حرارة الإيمان والرحمن الهازمة لشرور الشيطان .. إزاء ذلك كنت بكامل كياني شعوراً ينبض بما هو فوق الحب .. إنه حب الحب للحب .. كان ذلك مني نبع شعورٍ فياض منعكسٍ من شعورها وإحساسها .. وقفت أمامي مسبلة الأجفان على عينين سوداوين .. طالما تلاعبتا بشعوري وإحساسي وكامل

كياني .. وكأنها إلهة آلهة السوريين القدماء .. في بهائها وفتنتها التي تستدعي عبادها للصلاة في محرابها .. وبحياء نابض بالحياء .. تمتمت بصوت خفيض .. أحبك يا أستاذ .. لقد صنعتني وأخرجتني من نفسي إلى نفسي .. أيقظت شعوري وإحساسي .. أخرجت مني أنوثة كانت غافية تجلّت في امرأة .. تقف الآن أمامك معترفة بكل صدق الأنثى .. بأن صنيعك هو لك .. ولن يكون أبداً لأحد سواك .. وانحدرت دمعتان لؤلئيتان من مقلتيها .. ولم تستطع أن تلحظ دمعة ترقرقت في مآقي .. وأنا أنظر في مقلتيها المطرقتين إلى الأرض .. إذ رحت لها أقول .. بصوت خفيض حزين .. ـ إنها تجربة يا إيغار .. تجربة تربوية نجحت .. وهذا كل شيء .

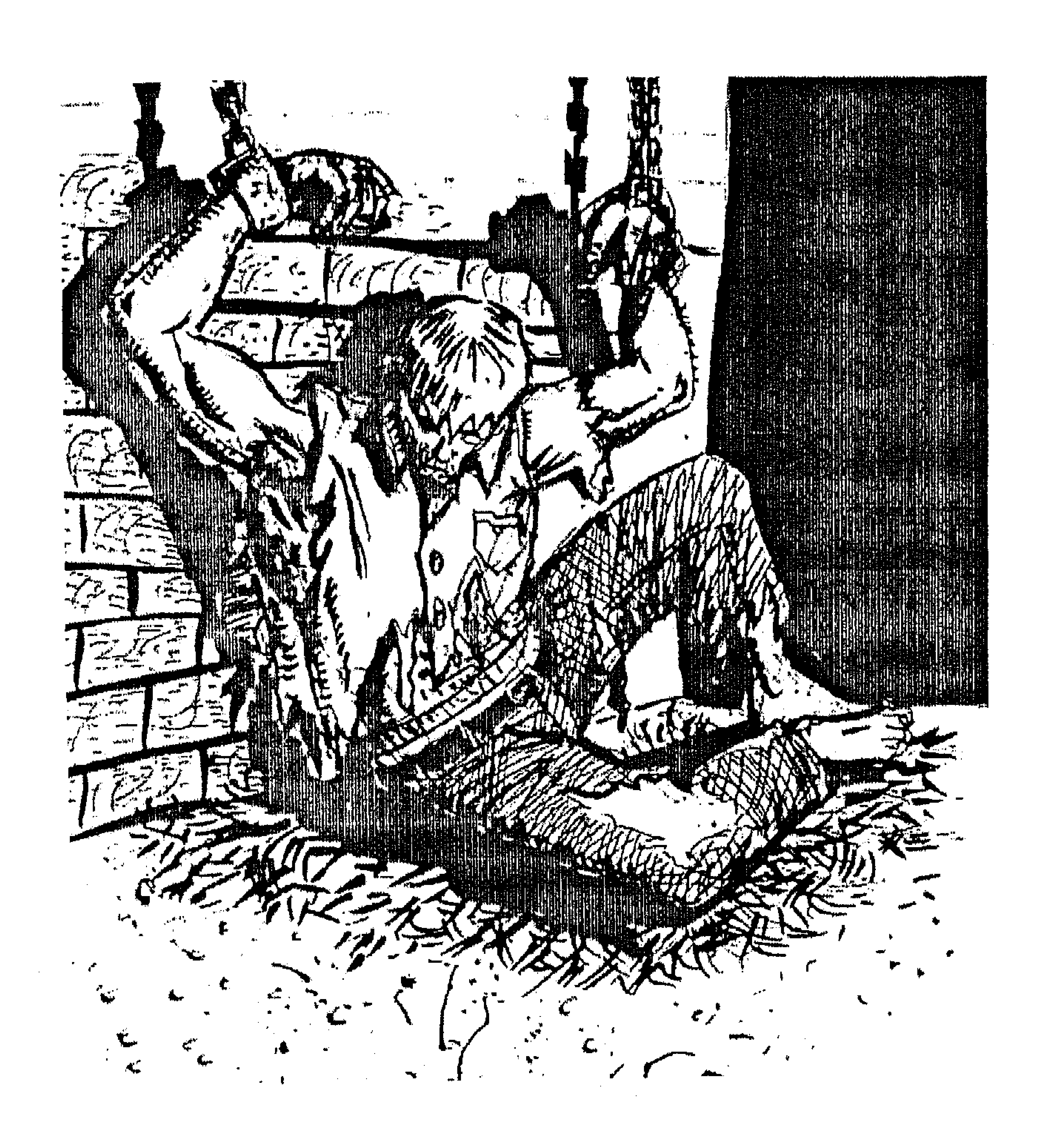






تخاريف سجين...





حكايــة العــالم .. عالم الغاب ..
الـذي لا ولـن يـتــمـدن أبــداً ..
وقد حـاولنـا وكثير حـاولوا ويحـاولون ..
وما استطعنا وما استطاعوا قبلنا تبديله..

... قــادة وتَبَعــة .. أقويــاء وضــعفاء .. صــيادون وطرائــد .. حاكمونَ ومحكومون .. عالمنا عالم غابٍ .. لن يتغير ولـن يتبـدل .. وعلـى مـدى الـدهور والعـصور كـان كذلك .. وظلَّ كذلك وسيبقى كذلكِ .. وكل من حـاول تكـريس الحـق والحقيقــة .. بـاء بالفـشل والخـسران المبيـن .. " القلـب المرمـري " هـي القـصة التاليــة .. وليست حكاية حب وغرام هيَ .. إنما هيَ رمز يخفي وراءه مـا لا يمكـن أن يُكتـب .. حيـن كُتـب .. والحـال مازال على ما هو عليه .. منذ كُتِبَ ما كُتِبَ . في عام ١٩٥٣ رأينا أننا تحت جنح الآخرين .. لن نستطيع أن نُحِقَ حقاً .. أو أن ندحر باطلاً .. فكان القرار قرارنـا .. أن نـستقل بالـذات وأن نـصدر الـصحيفة الـتي تُعلـي صـوت الجمــاهير .. وأسـميناها الجمــاهير .. وفيهـا حاولنا قول ما اعتقدنا أنه كل الحق .. ومـا كـان هنـاك من يقبل بقولـة الحق .. حتّى أصحاب الحق ذاتهم .. وطبعاً فإن الحال ما زال على ما هو عليـه وسيبقى مـا بقيت الدنيا .. التي اسمها آت من الدناءة .. ولـذا فإنهـا والحال هذا دنيا دنيئـة . والجماهير التي نطقت باسم

"الجماهير " هي التي اجتاحتها الجماهير في الثاني والعشرين من نيسان ١٩٥٥ .. فأحرقت مبانيها ومطابعها وأذهبتنا إلى السجون .. ووضعتنا تحت سياط العذاب والمُعَذبين .. من المتسلطين المتحكمين بالجماهير .. يريدونهم عبيداً لهم أبداً .. وفي السجن وُلِدَت القصة التالية .. قصة "القلب المرمري" .. لكننا وقد تجاوزنا التجربة المأساة .. لم نتعظ ولم نقتنع بوجوب السير في قطيع السائمة .. فعاودنا الكرة ثانية .. متمردين نريد الحق لجميع أصحابه .. فكانت رئاستنا لتحرير جريدة الشباب الصادرة في مدينة حلب .. والناطقة بلسان الحزب الوطني .. وفيها لم نستطع قول إلا قليل القليل من الحق .. ورغم ذلك أحرقتها جماهير الشباب .. في الثامن من آذار ١٩٦٣ .. لصالح من اضطهد الشباب وسلب الحق منهم ومن غيرهم .. وامتهن سوريتهم المُتطلِعة لعروبة صحيحة .. عروبة عملية غير نظرية تؤتي ثماراً قومية .. تجعل من العالم العربي وحدة .. غير متشاكسة الأقاليم .. تلتقي في وحدات جغرافية أربعة متكاملة .. سوريا بحدودها التامة .. شبه الجزيرة العربية .. مصر والسودان .. المغرب العربي .. تلتقي في دولة اتحادية واحدة .. فلماذا كان ذلك الإحراق إذن ..؟ لمصلحة قيام وحدة عربية .. من (المحيط الهادر إلى الخليج الثائر) . وما من هادر أو ثائر.. وما من هدر أو ثار .. للوصول إلى ذلك الهدف النبيل

طبعاً .. منذ أحرقت "الجماهير" الجريدة في الثاني والعشرين من نيسان ١٩٥٥ و " الشباب " عام ١٩٦٣ .. ومن بعد إحراق "الجماهير" و قبل إحراق "الشباب" كانت جريدة "الناس" الدمشقية .. التي إلينا أسندت رئاسة تحريرها ما بين عامي ١٩٥٥ – ١٩٥٦ .. التي أوقفت عن الصدور تعسفياً .. وأدخلنا السجن ثانية لمنعنا من استمرار صدورها .. بعد أن أصرت على حضور محاكمات صورية .. أقيمت لتزييف حق صريح .. يعيد ناس الباطل إلى الصواب . نعش إيفيس في القلب المرمري .. كانت قد حملته آلهة الأولمب .. التي نزلت من عليائها مكلومة حزينة ..غضبى من إيفيسيا ذات القلب المرمري .. التي تسببت بموت إيفيس .. وذلك بعد إحراق جريدة "الجماهير" عام ١٩٥٥ .. وكان يمكن أن يُكْتَبَ الأكثر في الموضوع .. لو أنها كُتِبَت عام ١٩٦٣ .. إلا أنه لم يتسن لنا العودة إلى سطورها نستعرضها .. لأننا كنا قد ضعنا في زحام ما طرأ من طوارئ جديدة .. فاقت كل ما كان قد حدث قبلاً .. من شؤون وشجون السجون والمعتقلات والتعذيب بسياط الجلادين .. ومن بعدها التهجير من الأوطان والاغتراب عن الأهل والخلان .. حتّى كان الأول من شهر كانون الثاني ١٩٧٣ .. حيث باشرنا للإعداد لإصدار "الشرق الجديد" .. جريدة في مجلة ومجلة في جريدة .. من لندن (عاصمة الحريات) .. لائذين

بحريتنا إلى رحابها (الفسيحة) .. وفي الأول من شهر آذار صدرت شهرية انتقادية .. لا تقبل الإعلانات ولا تتعامل إلا مع القرّاء .. ولتصعيب الاشتراك فيها لغير القارئ .. اشترطنا على الدوائر الرسمية .. التي تريد الاشتراك في الشرق الجديد .. أن لا يقل عدد اشتراكاتها عن خمسمائة نسخة بسعر خمسمائة جنيه للاشتراك الواحد .. علماً أن الاشتراك بها للقارئ العادي .. كان خمسة جنيهات إسترلينية فقط لا غير .

وتهافت علينا القراء .. مؤيدين داعمين بشراء الخمسة آلاف نسخة التي طُبعت من العدد الأول .. وبعدها استمر ارتفاع نسخ المبيعات .. حتّى بلغت ذات صيف ٢٦ ألف نسخة .. كما انهمرت علينا اشتراكات السفارات العربية والأجنبية .. وكذلك الحكومات والدوائر الرسمية .. بالأسعار العالية المعجِّزة التي فرضناها .. لتلاحق ما نكتب .. مما نعتقد أنه الحق كل الحق .. علماً بأن دخول الشرق الجديد .. كان محظوراً إلى جميع البلاد العربية .. إلا في السنوات الأخيرة لصدورها .. حيث سمح الرئيس حافظ الأسد بدخولها إلى سوريا .. باعتبارها جريدة لم تتخل يوماً عن سوريتها .. ولم تُخِلَّ بعروبتها . إلا أننا في بلاد الحريات .. لم نسلم من أهل الباطل .. يلاحقوننا لنكف عن جلدهم بسياط الحق .. وكنا نرفض معاندين .. فكان أن تعرضنا لأكثر من محاولة اغتيال .. كما لوحقنا بمحاولات إحراقنا في منزلنا .. أكثر من مرَّة

مــــسجلة فـــي ســـجلات البـــوليس البريطانـــي (سكوتلانديارد) .. فلما لم نخضع ونستجب للباطل .. بادروا لإحراق الأكشاك التي تبيع الشرق الجديد .. وأثاروا على أنفسهم غضب الأمن البريطاني .. الذي حاول جهده حمايتنا من شرورهم وحقدهم .. حقد الباطل على الحق .. وكانت المعركة بيننا وبينهم .. فصارت بينهم وبين البريطانيين .. إضافة إلى معركتنا معهم .. وكان فرحنا بالغاً بدعم بريطانيا للحق ضد الباطل .. إلا أنه لم يدم طويلاً .. إذ تدخلت المصالح التجارية البريطانية .. لتنصحنا بوجوب (الاعتدال) .. وإلا فإن علينا تحمل العواقب .. ورفضنا بالطبع فماذا كانت العواقب ..؟ رقيب بريطاني مع مترجم من العربية إلى الإنكليزية .. في المطبعة التي تطبع الشرق الجديد .. يقرأ كل ما يتعلَّق بالدولة التي لبريطانيا مصالح معها .. فيجيز ما تتطلبه تلك المصلحة .. ويمنع ما يخالفها .. هل يمكن تصديق ذلك عن دولة الحريات .. ؟ لكنها الحقيقة والحقيقة وحدها دون أي مبالغة في روايتها .. وشهودنا عليها من البريطانيين والايرلنديين والعرب العاملين في المطبعة .. ما زال معظمهم حتّى اليوم أحياء يُرزقون .. وكانوا حينذاك لا يُصدِّقون ما يشهدون .. ويعجبون في ذات الوقت .. من الصمود العنيد الذي مِنّا يشهدون .. ويتساءلون ما إذا كنا في صمودنا وعنادنا سنكون من المنتصرين ..وكثير هو الذي

يُروى عن حكايات الحرية .. في بلاد الحريات الأوربية والأمريكية . وهذه المصاعب في الواقع .. ليست دوافع استطرادنا .. في رواية ما نروي .. من بعض حكاية الشرق الجديد .. التي استمرت تصدر ورقياً .. من عام ١٩٧٣ وحتّى عام ٢٠٠٦ دون تلكؤ أو انقطاع .. والتي هي مستمرة في الصدور إلكترونياً كَمُدَوَّنَةٍ حتّى هذه اللحظة .. إنما أردنا أن نقول .. أن الأحوال التي كانت سائدة .. أيام صدرت جريدة "الجماهير" في مدينة حلب .. التي انتهت بإحراقها على أيدي الجماهير .. التي كانت "الجماهير" تتبنى الدفاع عن حقوقها .. تلك الأحوال كانت أحسن وأجود .. آلاف المرّات من الأحوال التي صارت إليه .. عند إيقاف جريدة "الناس" الدمشقية تعسفاً والذهاب بنا إلى السجون .. وتعريضنا للتعذيب لنرضى بأن الباطل هو الحق .. وإن الحق هو الباطل .. وإن الحال عندما احترقت جريدة "الشباب" .. على أيدي الشباب الذين نطقت "الشباب" مدافعة عن حقوقهم الوطنية والقومية .. كان أفضل من الأحوال في الأيام التي انطلقت فيها الجريدة المجلّة "الشرق الجديد" .. وعندما جئنا في حزيران من عام٢٠٠٦ .. نتوقف عن إصدار "الشرق الجديد" الورقية لسيادة الإلكترون على الورق .. كانت الأحوال أسوأ مئات آلاف المرّات من الأحوال أيام صدرت .. ونحن إلى الأسوأ .. بل والأكثر سوءاً ما عشنا في دنيا البؤس هذه .. ولو أننا

جئنا هذه الأيام نكتب " الجسد المرمري" .. لعجزت الحروف عن التجمع في كلمات .. لتصف الواقع الأليم الذي صرنا إليه .. والذي لا ندري إن كان هناك ما هو أسوأ منه . كانت هذه مقدمة في صيغة حكاية .. لقصة "الجسد المرمري" .. وإلى القارئ تُقدَّم بصياغتها .. التي بها صيغت عام ١٩٥٥ في سجن المزَّه بمدينة دمشق .. وبعد بعض حكايتها تلك التي روينا .. هذه هيَ القصة . .


J.M.-08

القلب المرمري..





القلب المرمري

تخاريف سجين في سجن المزّة في دمشق .. عام ١٩٥٥

... ألا رفقاً بنا يا زيوس .. لقد حلَّ بنا الدمار .. ولا ندري لنا ذنباً اقترفناه .. لكن رب الأرباب زيوس .. الذي كان يجلس على عرش أبيه ساترن .. حزيناً كئيباً يكاد يبكي بدمع غزير .. لولا أن الآلهة لا تبكي .. لأنه لا يحق لها البكاء .. وإلا أضحت كرعاياها الذين إياها يعبدون .. لكن الخطب كبير والأمر جلل .. يستدعي أكثر من نواح وبكاء . على الأرض تحت الأولمب جبل الآلهة .. كان قصف الرعد يصم آذان البشر .. وإلى أعالي الأولمب يصل مباشرة .. بعد برق كثيف يكاد يعمي الأبصار .. أبصار سكان الأرض .. وكذلك أبصار آلهة الأولمب .. أما الصواعق فقد أفلتت من عقالها .. وانقضَّت تُدمر كل ما تصادفه في طريقها .. والغيوم كانت تذرف دموعاً حارة ملتهبة .. تحرق السهول والجبال بحرارتها .. وتغرق حتّى الأنهار والبحار .. وما كانت هناك سفينة لنوح عليه السلام .. تلتقط من يستحق الحياة .. ممن لا ذنب لهم .. ولم يرتكبوا شيئاً مما أثار غضب الطبيعة التي جاءت نتيجة لغضب الآلهة .. السيول جرفت أمامها الخير مع الشر لا تُفرِّق بينهما .. وقد بدا أنها لا تريد الحياة تستمر على كوكب الأرض .

... الناس كل الناس .. في كل مكان على الأرض .. خرجوا إلى العراء يبكون منتحبين .. يبتهلون راجين زيوس رب الأرباب .. أن يرفع عنهم الغم ويُزيل الكرب .. ولكن أين زيوس من ابتهالاتهم .. وهو نفسه الغارق في الأحزان السادر في دنيا الأشجان .. كل آلهة الأولمب كانوا في تلك اللحظات .. يتحلقون حول ربِّهم زيوس .. وما كان حالهم أحسن من حاله . كيوبيد إله الحب .. كان يقف بين يديه .. ينفض جناحيه غضباً وألماً بين الفينة والأخرى .. وأمه فينوس ربة الجمال .. كانت تقف بجانب الرب زيوس .. ترتعش وكأن النار تشتعل في كيانها .. وقد زادها الحنق الذي سيطر عليها جمالاً على جمالها .. أما أبوللو إله الشمس وقائد المركبة الذهبية .. فقد كان ثائراً يصرخ محتداً .. اسمح لي أيها الرب الكبير .. أن أحرق الأرض وما عليها ومن عليها .. فنخلص من هذا الإثم الرهيب السائد فيها .. إنهم لا يريدون أن يتعلموا أو يعلموا .. إنهم وحوش يا أبتي .. منذ خلْقِهم الأول وتمردهم على الأمانة والاستقامة .. إنهم جماعات إثمٍ وشرور .

. ولأول مرة توافق إلهة الحكمة مينيرفا على هذا القول .. وتدمغه بخاتم الحكمة الإلهية المطلقة .. أما يوسيدون إله البحار .. فقد اغتصب كلمات .. أطلقها من عمقه الحزين .. مخاطباً رب الأرباب .. معلناً له ..: أن العدل

يقضي أن تدعني أعذبهم بالغرق .. وأجعلهم يموتون ببطء بين أسنان وحوش بحاري .. أما إله النار فلكان فكان يلتهب بشررٍ .. من خلاله تنطلق كلماته متشوقة .. تتمنى رؤيتهم يتلظون مشويين بلهيب نيرانه .. ليتلذذ برائحتهم مشويي الأجساد .

... ولما لم يلتفت إليهم رب الأرباب زيوس .. وأعرض عنهم وعما يقولون .. تقدم منه بلوتو إله الموت .. متحدثاً إليه بصوت جهوري كالرعد القاصف .. وله قال : ألا يا شقيقي المقدس .. إنك تعلم أنني أختزن في هيدز (الجحيم) .. كلٍ أفاعي الكون وعقاربه .. وعندي من الوحوش الكاسرة .. والسموم القاتلة ما لا يخطر لأحدٍ على بال .. انهاري من حمم الجحيم .. وزهوري مصنوعة من أشواك الحقد والحسد والضغائن .. في هيدز يا أخي المقدس .. كل أنواع الأمراض والعلل .. وهؤلاء البشر لا يستحقون إلا أن تُصدر إليَّ أوامرك .. بأن أوجه إليهم جيوشي تلك .. لأقتل فيهمْ في كل طرفةِ عين عرقاً في أجسادهم .. ولأمتص في كل لحظة نقطة من دمائهم الآسنة .. حتّى وإن تعرضت لسمومها القذرة .. قذارة نفوسهم المتنكرة للدرب السوي المستقيم .. ولِمُثل الحق والخير والجمال .. وفي أعالي الأولمب ستجلس أنت يا أخي المقدس .. تمتع نظرك متشفياً بهم يُبادون بالظلم الذي يرتكبون بحق المظلومين .

.. ولم يُجِب زيوس رب الأرباب .. وساد الصمت الإلهي جواء الأولمب ينتظر قرار الرب الأكبر .. ومن وسط ذلك السكون أقبل إيخو رب الصدى من بعيد .. يحمل على جناحيه الزرقاوين .. همسة واهنة لا تكاد تُسمع لتُفهم .. مقبلة من الأرض أرض الشرور والآثام .. تتوسل لأهل الأرض الرحمة والغفران ..: الغفران لهم يا زيوس يا أبتي المقدس .. والرحمة بهم .. الغفران أقوى من الانتقام .. والرحمة فوق الظلم . وانحدرت دمعتان من عيني زيوس .. الذي من المفترض أن لا تدمع له عين .. تدحرجتا على سفوح الأولمب متجهتان إلى الأرض .. تحرق كل ما صادفته في دربها .. من حقدٍ وآلام وآثام .. هكذا يجب أن يكون الإنسان .. نطق زيوس بهذا القول .. بعد أن سمع الهمسة تنطلق من فوق جناحي إيخو رب الصدى .. إن روحه تهتف بنا من دنياهم الفانية .. تطالبنا بالغفران .. نحن الذين إليهم صَدَّرنا الرحمة والغفران ..نهجاً واجب الالتزام منهم ومِناً قبلهم .. نحن الأرباب مَثَلُهُم الأعلى الذي به يقتدون .. نحن الأرباب علينا مواجهة الحقد بالمحبة .. والكفر بالإيمان والشر بالخير .. كما أمرنا الله الواحد .. رب الأرباب والإنس والجن ..

. وهنا صاح كيوبيد حانقاً .. وأنا يا أبتي المُقدَّس .. بالحب نفسه الذي إليهم صدَّرناه .. وبه ألزمناهم .. سوف أقتلها وأقتلهم معها .. انتقاما له منهم ومنها .

.. وراء ولدها كيوبيد إله الحب أردفت فينوس إلهة الجمال تقول : .. وبجمالها الذي أعطيتهُا إياها .. لتَأسِرَ الناظرين إليها .. به جاءت تفتري على الخير والحق والكمال والجمال .. سوف أعذبها يا أبتي المقدس .. معاقبة إياها على مسيرة الباطل التي تقود .. ضد قيم الإنسان لصالح الشيطان . أما أورورا إلهة الفجر فقالت بهدوء وبشبه همس .. أما أنا فقد اتخذت قراري وأبلغته إلى أبي المقدس رب أرباب الأولمب .. سأعطيها المزيد من سحر الفجر عندي .. لكن خيوط الفجر الرائعة هذه .. ستشد على رقبتها وبها سيكون اختناقها ولا اختناق .. بل عذاب أليم .. سوف تتمنى الموت في كل لحظة ولا موت . أما سيريز إلهة الخصب فقد قررت أن لا تُسعدها بالخصب بل ستتعسها بالجدب في جميع أحوالها .. والتفتت بريسيفوني إلهة الربيع إلى أمها سيريز تقول : أما أنا يا أمي فسوف أجعلها ترى زهوري .. فتُقبل لتمتع ذاتها بعطور روائحها .. وإذ بها بدون عطور في أنفها .. بل ستستنشق رائحة حقدها وحسدها .. واستكبارها على الآخرين .. وفرضها ذاتها كونها الحق وحدها دون سواها .. إنها كل الغرور والتعالي والاستكبار على الحقائق .. التي هي في واقع أمرها حقيقة واحدة وما من حقيقة إلا الحقيقة .. التي ليست تلك المغرورة بغرورها

.. كل ذلك وزيوس العظيم يستمع إلى أقوال الأرباب في مجلس الأرباب الذي كان قد اجتمع ليتخذ قراراً فيها ومن معها .. وفي ضحايا ظلمهم وظلمها .. وفي عمق أعماق ذاته كان قد اتخذ قراره النهائي فيها هي رأس الظالمين .. بعد أن استمع لكل ما قيل في مسألتها .. التي هي مسألة الكون واستمراره رافهاً سعيداً . هنا أقبل إيخو رب الصدى .. على جناحيه يحمل همسة أخرى .. قادمة من الأرض .. تنادي على رب الأرباب .. أن اغفر لها يا زيوس فإنها لا تعرف ولا تعلم .. وأعطها الفرصة لكي تتعلم .. ولا تأخذها بجهلها وجهالتها .. إلا أن رب الأرباب لم يلتفت إلى نداء ربيبه على الأرض .. بل التفت إلى مجلس الأرباب يقول : هاتوا جثمانه البشري من الأرض المتعفنة بشرور الشيطان المُتَجَسِدة فيها .. لنُكَرِّمه وندفنه في ضريح إلهي يُسِرُ روحه المضحية في سبيل الآخرين .. قبل وصولها إلينا هنا في الأعالي . وماذا عنها .. صرخ كيوبيد إله الحب .. حب كل كائن في الأرض والسماء .. وما تحت الأرض .. وما فوق السماوات..

: وماذا عنها يا أبانا المقدس ..؟ دع الأمر لي يا بني الحبيب أجابه زيوس .. قال كيوبيد .. نحن إذا استحضرناه هنا ودفناه بتراب روحه في الأولمب .. فإن الدنيا ستفنى وتنتهي من الحق وأهل الحق ..

وسيسود الظلم فيها ويعم الظلام .. ألا رفقاً يا أبتي المقدس .. دعنا لا نيئس ونعالج الأمر بالغضب .. دعنا يا أبتاه نتحد وراءه منتصرين له .. لينتصر بنا .. بالحب نقتل به شرور الشريرة وعصابتها ..

... وكيوبيد إله الحب يتحدث .. وبشكلٍ فجائي .. تجمد كل شيء على الأرض .. لهيب النار لم يخمد وينطفئ .. بل تَجَلَّد .. عجب والآلهة عجب .. نار تتجمد وتضحي جليداً من نار .. دموع الغيم الحارقة .. توقفت بين السماء والأرض .. فلا هي تعود غيوماً .. ولا هي تسقط أمطاراً غضبى .. تدمر على الأرض الخير مع الشر .. والرعد الذي كان يقصف داوياً مدوياً .. انتحى جانباً متوقفاً كبرقٍ كان يخطف الأبصار .. وكذلك كان شأن مياه الطوفان الثائرة وجيوش وحوش الجحيم هيدز .. التي كانت تزحف بالأمراض والعلل ..على عصابة الباطل فى الأرض ..

.. وانفرج الغيم قليلاً .. ليكشف عن أعالي قمم الأولمب .. حيث انبثق نور رب الأرباب أحمر قانٍ .. كالدم المراق في كلِّ مكان على الأرض .. يمتد بطيئاً حزيناً .. وعليه أقدام آلهة الأولمب .. تدبُّ وقد تراصت في صفين متوازيين على جانبيه .. تتقدمهم جوقة ترانيم السماء .. تعزف ألحاناً شجية حزينة .. وراءها مشي كيوبيد وأمه فينوس .. بأمر من رب الأرباب زيوس ..

الذي كان قد قاطع كلام كيوبيد إليه .. وأشار إليه بالمشي في الموكب الإلهي .. الذي ظهر فجأة .. الكل كانوا ناكثي الرؤوس .. عاقدي الأذرع على الصدور .. يذرفون دموعاً منسابة من نبع جبال المحبة الإلهي .. متجهين إلى الأرض ..

. ومن الطرف الآخر من الأرض .. أطلت ديانا ربة القمر .. لترى الموكب الإلهي الحزين .. هابطاً من الأولمب إلى الأرض المليئة بالمفاسد والشرور .. وفي الموكب يسير أبوللو إله الشمس .. الذي لم تتلاقى معه يوماً أو ليلة قط .. تاركاً الفلك الذي يدور فيه .. ورأت بساط رب الأرباب النوراني الأحمر القاني .. يُفرش أمام الموكب .. كلما تقدم هابطاً إلى الأرض .. ليكون الجسر الذي عليه يعبرون .. فأدركت ضرورة مشاركتها في الموكب الإلهي لأن في الأمر ما فيه .. وإلا ما ترك أبوللو مكانه .. مُخِلّاً بتوازن حلول الليل والنهار .. وطالما أن التوازن قد اختل .. فإن عليها أن تغادر موقعها لتلتقي على الأقل .. ولو لمرة واحدة بالرب أبوللو .. التي طالما تاقت للقياه .. فانسحبت بكل أنوارها من طرف الدنيا الثاني .. تاركة إياه يغرق في ظلام رهيب .. وهرعت تنضم إلى الموكب الإلهي الجليل ..

... الناس كل الناس على الأرض .. رفعوا رؤوسهم إلى الأعالي ينظرون .. وقد نسوا ما هم فيه من أهوال الظلم والظلمة .. إذ أنها المرة الأولى التي يهبط فيها آلهة الأولمب إلى الأرض .. بهذا الشكل الجماعي .. وكيوبيد .. ما بال كيوبيد ثائراً حانقاً ..؟ وفينوس ربة الجمال .. ما هذا الغضب الذي يكسو وجهها المضيء دائماً وأبداً ..؟ والآلهة جميعاً لماذا هم على هذا الحال من الفوضى .. التي أخلّت بنظام الطبيعة التي خلقها الله الذي هو فوق الأرباب ورب الأرباب ..؟ وقف الناس جميعهم على الأرض .. يستعجلون النهاية .. ليكتشفوا أسرار البداية .

... وصاح العشاق .. تُرى ماذا يريد بنا كيوبيد .. وصرخ أصحاب المحبة في الناس .. الذين المسرَّة عندهم للكل بالحق تسود وتعم .. ماذا تريد بنا الآلهة ..؟ الخير طبعاً لأن الآلهة آلهة خير .. لا توقع شراً بالخيرين .. ولكن هل كلنا أخيار على الأرض..والأشرار فينا كثيز؟ صاح صائح من الناس المتجمهرين يراقبون الموكب الإلهي الهابط ولأول مرة .. من أعالي الأولمب .. لماذا فينوس وكيوبيد على رأس الموكب الإلهي .. هل المسألة مسألة حبٍ وهوى .. من العشاق أهل الغرام .. هذا في الوقت الذي كانت فيه أصوات العشاق .. من المراقبات والمراقبين .. للموكب الهابط من الأولمب .. تصيح واجفة خائفة .. ماذا يريد بنا

كيوبيد .. ماذا تريد بنا فينوس ..؟ الصبايا خاصة كن في ذعرٍ شديد .. ألا بحق الواحد الأحد الفرد الصمد نرجو السماح والغفران يا فينوس .. ارفقي بنا وارحمينا .. إذا كنَّ نحن المخطئات .. نعدك يا أمنا وحق الجمال الذي منحتنا .. والذي أنت فيه وعليه .. أن نتخذ منك قدوة .. أن لا نحطم قلباً ولا نجرح شعوراً .. أن نشرب دائماً من نبع ابنك المقدس كيوبيد الذي يفجره بسهامه في قلوبنا .. أن نجعل الجمال الذي نملك روحاً تسود الكون بالحب .. حب كل شيء .. فالحب ليس حب حواء لآدم ولا آدم لحواء .. بل حب الحقيقة .. حب العدالة .. حب المنطق .. حب الحرية .. حب العطاء .. حب التضحية .. سنكافح ونقاتل يا أمنا المقدسة فينوس .. لنقر الجمال في العلاقات الإنسانية .. ولن ندع للشيطان عليها سيطرة .. حيث الشرور تتبع .. بعد تشويه العلاقات الإنسانية والسيطرة على الإنسان .. سنقاتل حتّى لا تكون في الكون سجون .. ولن نأبه بالسجانين .. لن يكون في الدنيا لصوص .. وستخلو من المجرمين .. ولن نستقبلهم في قلوبنا .. ولن نُسعدهم بحرارة عواطفنا .. حتّى الجميع إلى الحق والعدالة يؤوبون .

ولم تأبه فينوس بتضرعات الصبايا .. ولم تبدد بعض أحزانها .. بل استمرت سائرة على بساط نور رب الأرباب الأحمر القاني .. عاقدة كفيها على صدرها ..

واجمة لا تنبث برداً على تلك التضرعات .. وتوجهت الصبايا إلى ربة الخصب سيريز.. رافعات أكف الضراعة .. يستجدينها الشفاعة عند إلهة الحب فينوس .. يستحلفنها بحق ابنتها الرائعة .. ذات الجسد الضاج بالحرارة والحياة بريسيفوني إلهة الربيع .. المتضمخة بعطور الورد والزنبق والياسمين .. ألا يا سيريز المقدسة يا ربة الخصب والعطاء .. إننا في جملة عبادك المخلصين .. ونحن بساتين خصوبة الحياة وربيعها .. وبنا يتجدد الكون مُكَرِّساً استمرار الشباب .. فإن نحن فنينا وانتهينا .. فإن الكون ينتهي ..ولن يبقى فيه من يعبدك ويقدم لك القرابين .. وستكونين إلهة بدون رعايا .. ولن يكون في الدنيا من يعطي الأطفال يلهون في جنبات ربيع ابنتك برسيفوني .. قولي يا سيريز للمقدسة فينوس .. أننا كنَّا وسنظل الفراش الوردي الذي يحوم حول حب كل شيء .. فمُتَع الحياة ليست في العلائق بين حواء وآدم فقط .. بل حول الحقيقة سوف نحوم أيضاً .. وحول الخير والعدل والكمال والجمال .. سنعطي من قلوبنا لأطفالنا رعشات الأمانة والاستقامة .. لنجعل منهم ومنهن أمل المستقبل الآمن الرافه السعيد .. الذي ليس فيه أي جبار عنيد .. يسفك الدماء وييتم الأطفال ويرمل النساء . إذا كان من مصائب في الكون .. فنحن على الأقل وراءها بإهمالنا وتعالينا.. وانشغالنا بأهوائنا دون ثوابت الخير .. ونحن اللواتي

نقبل في أسِرَتِنا .. المتسلطين الظالمين القتلة والسفاكين من المجرمين .. الذين لا يخافون الله رب العالمين .. خالق الأولمب وأرباب الأولمب .. لن نفعل ذلك بعد اليوم يا إلهة الخصب يا سيريز .. قولي ذلك للأم فينوس عساها ترق وتصفح وترضى .

. ولم تلتفت سيريز إليهن .. وبهن لم تأبه برسيفوني .. حتّى منيرفا إلهة الحكمة بدت غير مكترثة بتوسلات المتوسلات وتضرعاتهن .. وراعت الصبايا ابتسامة عريضة .. اتضحت على مبسم بلوتو إله الموت .. بينما موكب الآلهة كان يتقدم نزولاً إلى الأرض . حتّى في هذه الساعة الرهيبة لم تكف العجائز عن الثرثرة .. وإطلاق الافتراءات والأكاذيب والشائعات .. وبينهن كان يدور همس يقول .. أن سيد الأولمب قد طرد الآلهة من رحابه .. وإنهم الآن في طريقهم إلى الأرض .. السجن المؤدب لبني الإنسان .. تماماً كما من قبل طُرد الوالدان حواء وآدم .. إلى الأرض يومئذٍ طردهما وكانا اثنان .. أما اليوم فهم بما تناسلوا بالمليارات في سجن الأرض .. ترى أي جريرة ارتكبت الآلهة ليأمر الله زيوس رب الأرباب .. بإرسالهم إلى سجن الأرض كعقاب .. شأنهم شأن والديهم من قبل ..؟ تساءلت العجائز .. لا ريب أن الحب كان أوفر في سجن الأرض منه في مملكة الأولمب .. ورب الأولمب لا يقبل الكراهية والتنابذ في مملكته .. ولذا

طرد الآلهة استعداداً لاتخاذ آلهة جديدة مكانهم .. بعضٌ من العجائز جئن يؤكدن .. أن موكب الآلهة ذاك .. جاء منحدراً من علياء سماواته إلى الأرض ليقتلع آثام بندورا .. ألا تعرفونها ..؟ يتساءل ذلك البعض من العجائز .. وعلى التساؤل يُجبْنَ .. بندورا التي تمنح الحب المزيف الذي هو شقاق ونفاق .. والذي يسمّى في بعض حالاته سياسة .. وتقبض ثمنه آهات إخلاص وصدق وأمانة .. تذهب بها بعيداً في دنيا جحيم هيدز .. مسببة التعاسة والشقاء حيث حلّت وتولّت . عجوز من بينهن علا صوتها معلنة .. أن كيوبيد وأمه فينوس .. ومعهما موكب الآلهة .. جاءوا ينزلون إلى الأرض .. لاستئصال جميع الفلسفات والمدنيات .. التي تدور على دواليب .. ولِيُحِلّوا مكانها حضارة الوجدان والضمير والأخلاق .. لتكون أصل الحضارات القادمة .. التي يجب أن تقوم على الروح أولاً .. ولتأتي المادة التي لا بد منها في المقام الثاني .

... ألا وحق الآلهة إن زيوس رب الأرباب على حق .. صاح عجوز من الجمع .. لقد أفقدنا أرسطو وسقراط .. وأفلاطون وزينون .. وشلل الفلاسفة والمتفلسفين .. قلوبنا وضمائرنا ووجداننا .. وضيعونا في غُمار تفلسفهم .. وعَقَّدوا الحياة التي كنا نحياها بسيطة سهلة .. بالمجهولات التي كُنَّا عليها .. فلما علمنا ما وراء الحجب وزادت معارفنا .. استبد بنا الطمع

وسيطر علينا الطموح .. وفقدنا التوازن بين الطمع والطموح .. وصرنا مُجرد آلات في أيدي المعرفة .. أصبحنا الخيول التي تجر مركبات .. لا ندري إن كانت للطامحين أو الطامعين .. إننا الآن قطعان ماشية تسوقها ما يدعون أنه المعرفة .. التي قد تكون الجهل بأم عينه .. وكيف لنا أن نميز بين الجهل والعلم ونحن لسنا أهل علمٍ ..؟ ووافق عجوز آخر على أقوال العجوز البادئ .. وأردف يقول .. لولا أولئك المتعالمون المتفلسفون .. لما قام الطغاة المتحكمون فينا استناداً إلى فلسفة المتفلسفين .. ولما كنا في هذا الحال السيئ الذي نحن فيه .. ولَمَا قام الظلم فينا .. ولمَا سيطر الظلام .. الآلهة تريد أن تجتث من الأرض العلم والمعرفة .. اللذان أخرجا الوالد آدم والأم حواء من الجنة .. بعد مخالفتهما أمر الله وأكلهما من شجرة المعرفة .. بوسوسة من الشيطان الرجيم .. ليعرفا أنهما في عري تام .. حيث راحا يخصفان من ورق الجنة ليستترا .. وكانت بداية المعرفة التي قادت إلى الشقاء .. وجاءت بكل البلاء .. وموكب الآلهة هذا جاء لينهي هذه الأسطورة .. وليعيد الحياة إلى طبيعتها البدائية البسيطة .. وقال عجوز ثالث .. إن الآلهة جاءت في الحقيقة لتزرع في قلوبنا الرحمة وتغرس في عقولنا ضميراً ووجداناً جديدين .. بعد أن تعفنت المعرفة بضمير ووجدان قديمين سيطر عليهما الشيطان .. عدو الإنسان .. منذ وجد الإنسان

في جنة الله .. وبالشيطان هبط إلى الدنيا الدنيئة دناءة الشيطان .. وصاح عجوز رابع .. وما جدوى تجديد القديم .. الذي سيضحي قديماً بمرور الزمن فيه وعليه .. وسيصير حاله ذات حال القديم .. الذي جاءت الآلهة تجتثه من دنيانا هذه .. هذا معناه أننا سنحتاج إلى من ينقذنا .. بين الدهر والدهر من الظلم والقهر .. وسيستمر ذلك فينا إلى آخر العمر .. أو أن الدنيا ستستمر من فساد إلى فساد .. ومن ظالم إلى أظلم .. حتى اليوم المعلوم . وطغى همس الهامسين من الناس .. على موسيقى السماء الحزينة .. وكاد الموكب الإلهي يتحول إلى مهزلة .. عندما تنحنح يوسيدون إله البحار حنقاً وغضباً .. فاندفعت موجة عاتية إلى الشاطئ .. شتتت جموع المتجمعين برشاش مائها المتقد بغضب الإله يوسيدون .. وعلا هرج ومرج بين الناس .. إلا أن الصمت عاد ليفرض سيطرته .. والأنظار عادت من جديد تتجه إلى الأعالي .. ذلك أن بساط النور الذي كان يمتد إلى الأمام .. تحت أقدام الأرباب التي كان موكبها يقترب من الأرض .. في الدرب الذي إليه يقصدون توقف .. وتوقف الموكب معه عند سطح منزل البشري إيفيس .

... إنه إيفيس .. دمدم الناس مشدوهين ..

-: إنه المقصود بغضب الآلهة ..

-: لكن إيفيس ما كان إلا مجرد مجنون .. ماذا تريد الآلهة من مجنون ..؟

-: إنه مجنون حب..
-: وهل يغضب كيوبيد من أخلص مخلصيه ؟
-: إيفيس أخلص وأحَبَّ من لا يستحق الإخلاص والحب .. وهذا لا يُرضي الإله كيوبيد ..
-: كيوبيد رب العشاق لا رب المجانين .. رب العواطف المتقدة الجياشة .. التي تنتهي بعشق الإنسان للإنسان وللحيوان وللجماد أيضاً .. إنه ربُّ الحقيقة الجميلة جمال أمه فينوس .. لا الحقيقة البشعة التي ليست الحقيقة .. التي جاء إيفيس يحاول تحويلها إلى الحقيقة التي لا حقيقة غيرها .. وغضب كيوبيد وأمه والآلهة جميعاً .. ليس على إيفيس .. إنما لإيفيس .. الذي لاقى ما لاقى من عنتٍ واضطهاد وتعذيب .. في محاولاته .. زرع الخير في نفس إيفانيا .. المُصِرة على أنها الخير .. وأن إيفيس هو الشرير .. الذي يجب أن يتحول إلى عبدٍ في محراب شرورها ..
-: إيفانيا حقيقة تافهة طائشة .. وظالمة أيضاً .. والأنكى اعتقادها بأنها العقل والحكمة والعدل .. وإنها هي وحدها الحقيقة الجميلة .. التي ما سواها حقيقة ..
-: ولماذا الآلهة يحطون بموكبهم على سطح منزل المظلوم المضطهد إيفيس .. وليس على سطح منزل إيفانيا المُضطهدة للمسكين إيفيس .. الذي على يديها الآثمتين قضى ومات ..
-: جاءوا يمثلون بجثمانه .. كونه الأحمق الذي حاول استنبات وردة في وحل ..

-: فينوس هي التي منحت الحياة لجالاتيا تمثال بجماليون .. فلماذا لا تمنح الهداية لإفانيا .. التي أراد إيفيس زرع شعاع الخير فيها ..؟
-: كيوبيد ابنها لم يرض ورفض منح حياة لمخلوقة بشعة ..
-: لكن على ما علمنا أن كيوبيد لا يميز في إطلاق سهامه بين جميل وبشع ..
-: فينوس إذن هي الغاضبة ..
-: ولماذا تغضب فينوس ..؟
-: لأنها ترفض منح الجمال للقبح .. وخاصة قبح النفس .. فينوس هي لرعاياها من أهل الجمال فقط وليس لغيرهم ..
-: إيفانيا ليست قبيحة .. أبداً .. أبداً ..
-: إنها دجالة وماكرة ومحتالة وخبيثة ومنافقة وغشاشة .. فهل بعد هذا القبح قبح ..؟
-: لكنها أعطت إيفيس ما جعله قادراً على العطاء ..
-: إيفانيا لا تعطي إلا لتأخذ .. إنها كالعاهرة التي تبيع جسدها مقابل المال .. من إيفيس أخذت وثوق الناس بها .. بتعامله معها ..
-: ما ذنب إيفيس إذن لتنقم عليه الآلهة ..؟
-: ذنبه أنه حاول زراعة الخير في أرض الشرور .. فكان هذا النبت الشيطاني الخبيث ..
-: بجماليون خلق جالاتيا .. وإيفيس صنع إيفانيا ..
-: لكن بجماليون أهوى بمطرقته على جالاتيا يحطمها .. بعد أن منحتها فينوس الروح .. ونطقت بأوائل كلماتها ..

-: لأنها نطقت كفراً .. ونطقها كان انطلاق الخير من الشر .. الأمر الذي لم يستقم من قبل ولن يستقيم أبداً ..
-: مسكين إيفيس ..
-: لا إنه مجنون ..
-: مجانين الماضي فلاسفة الحاضر ..
-: وفلاسفة عصرنا هذا ..؟
-: سيصبحون مجانين الغد ..
-: وإيفيس ...؟
-: سيخلده التاريخ .. بينما سيلعن إيفانيا ..
-: ولماذا يلعنها ..؟
-: لأنها أودت بإيفيس .. وحاولت إذلاله .. بينما كان يحاول منحها بعض روحه ..
-: إنه ذنب إيفيس الذي التقط حفنة من الرغام ومنه صنع تمثاله .. فعاد الرغام إلى حيث كان ..
-: لأن الشر لا يمكن أن يعطي إلا الشرور .. كان يجب أن يعرف ذلك ..
... عجوز صالحة من الجمع.. دخلت على حوار المتحاورين .. وموكب الآلهة يحوم على سطح بيت إيفيس .. وصاحت بأسف وأسى
-: كلكم كنتم ضد إيفيس .. مع الظالمة إيفانيا . وردَّت صبية مستهترة ..
-: فلماذا الآلهة جاءوا يمثلون بجثة إيفيس .. إذا كان مظلوما بإفانيا كما تقولين ..؟ ردَّت العجوز الصالحة

-: الآلهة ظالمة أيضاً .. إن كان مجيئها إلى الأرض .. هو للتمثيل بجثة المظلوم بإفانيا وبالناس .. وبها أيضاً ..
-: إيفانيا لم تَظْلِمْ .. لقد أعطت إيفيس جسدها ..
-: إنها بهذا ليست أكثر من عاهرة ..
-: إيفيس أعطاها من روحه ليطهرها ..
-: إيفيس مجنون ..
-: إيفيس إله ..
-: إله .. وحاول أن يجعل منا نحن البشر البلهاء .. الذين لا يفهمون الآلهة .. آلهة أيضاً ..
-: ومن أجل ذلك فهو أبله .. لأنه فشل ..
-: والأبله الفاشل مجنون ..
-: ذات يوم سيتساوى البشر بالآلهة .. بالعلم والعدل والضمير والوجدان .. وحينذاك سوف نتذكر إيفيس .. وعندها ستقولون أنه إله .. أو على الأقل ستقولون أنه فيلسوف ..
-: وحتى اليوم الذي نتساوى فيه بالآلهة .. ستظل إيفانيا على حق وإيفيس المجنون على باطل ..
-: وإيفيس لوساير إيفانيا لظل حياً يُرزق ..
-: بل ميتاً يرزق بالباطل والحرام ..
-: وهل من فرق بين الحلال والحرام .. الذهب معدن والنحاس معدن .. وندرة الذهب جعلته غالياً .. وعندما يندر النحاس سيضحي بسعر الذهب ..

-: النحاس يتأكسد ويخبو ويتدخل في طهر الطعام .. أما الذهب فلا يفعل ذلك .. ولهذا فهو ذهب .. والنحاس نحاس .. وإيفيس هو الذهب الذي ينفع أبداً ولا يضر مطلقاً .. وإيفانيا هي النحاس .. التي مع الزمن هي كل الضرر ..

-: الذهب غير متيسر لكل الناس .. أما النحاس فنفعه يعم الجميع .. حتّى وإن كان فيه ما يضر .. وهذا هو حال إيفيس الذي بإيفانيا انتفع .. فلما جاءت تنتفع به عصا .. وعليها استعصى فكان الهرج والمرج الذي نشهد ..

-: إيفيس عمل على نفع إيفانيا .. على إعطائها .. ولم يأخذ منها .. لأن الحب عطاء وعطاء دون أخذ ..

-: أحببنا كثيراً ونسينا كثيراً ..

-: اشتهيتم كثيراً .. والشهوة بنت وقتها .. تنتهي بوطرٍ يُقْضى ..

-: الحب هو الشهوة والشهوة هي الحب ..

-: لا .. الحب كما أسلفنا عطاء دون أخذ ..

-: وما حال الآخذ أمام المعطي ..؟

-: يعطي طبعاً ..

-: يعطي كل ما عنده وما أخذ أيضاً ..

-: هذا منتهى الألم من منتهى العذاب والتعذيب .. الذي لا تقره الآلهة .. ولا يرضى به الله لمخلوقاته .. أكانوا أرباب الأولمب .. أم جماعات البشر ..

-: في أقصى أقاصي آفاق الألم يكمن فَجْرُ اللذة القصوى ..

-: لم نفهم ..
-: هذا كلام يفهمه الذين يعرفون كيف يحبون .. ومن يُحبون .. وليس من يُحب الشر والأشرار مُحِبٌ ..
-: وإذا فهمه المحب ولم يفهمه المحبوب ..؟
-: يكون الحال .. حال إيفانيا وإيفيس ..
-: وما حال إيفيس ..؟
-: في أقصى آفاق السعادة وشروق لذة العطاء دون أخذ ..
-: وإيفانيا أين تقف ..؟
... صوت جديد برز من أقصى السماء يرد ..
-: بلهاء أنتم .. إنها تنحدر في جحيم البشرية الفانية .. إيفانيا تلعق دماءها ملتذة ببؤسها وشقائها .. إيفانيا عبدة ذليلة للشيطان إله الأخذ دون عطاء .. إيفانيا لها جسد بشري لا روح له أو فيه ..يضج أبداً طالباً المزيد .. وأين سيذهب بذلك المزيد بعد أن يزوره بلوتو إله الموت ..؟ إيفانيا شبقة لمزيد من الدماء .. دماء الحقيقة والخير والجمال والكمال .. تغذي بها قلبها المرمري المُتَحَجِّر .. الرافض لأي غذاء إلا الدماء .. إيفانيا تعسة .. لكنها لا تستحق الشفقة أو الرحمة .. إنها عقل مريض .. جذوره قلب من حجر صنعته بنفسها لنفسها .. إيفانيا ترى إلى إشعاعات أنوار قمر ديانا المقدسة .. المنبثقة من ليل سرمدي .. إشعاعات تُلوِّن زرقة السماء .. المُلوِّنة لمياه البحار .. والتي تبعث الضياء في النجوم والكواكب والأقمار .. .. فتحس بها وترقص على أضوائها المتفاوتة الضياء ..

وتنشد أغاني الحب بألحان جوقة السماء .. لكنها بها لا تستلذ ولا تستمتع .. وتسألون لماذا ..؟ لأنها لا تحس ولا تشعر بالأرواح التي لا تُرى .. ولكنها في كل مكان تُحَوِّم حولها .. إنها تتمنّى تلك الأرواح تتحول دماءً لتمتصها .. إيفيس حاول أن يُطهرها من آثامها .. وأن يعيدها إلى طبيعة منها خُلقت من تراب الجنة .. بيدي الإله الواحد الأحد الفرد الصمد .. لكنها على الله تمردت .. وجاءت تقصف الخير في عباده محولة إياه إلى شرور من دماء كَدَّهم تسبح فيها .. ولا تفيدها في دنياها أو أخراها .. إيفانيا جسدها ملعون .. ولا روح لها لِتُلْعَن .. إيفيس حاول أن يُطهرها من آثامها .. ولكن هل يطهر الإثم من إثمه .. إلا بالفناء الكامل لذلك الإثم ..؟ إيفيس حاول أن يعطيها روحه الطاهرة .. أن يمنحها دمه النقي .. ولكنها أصرَّت على الاستمرار في تحجرها المرمري .. إنها تريد كل شيء في الدنيا لها وحدها .. تريد كل ناس الكون عبيداً لها .. تريد أن تكون بظلمها هي الحق ولا حق سواها .. ملعونة هي ملعونة بفسادها الذي بدأ بتحديها شرع الله .. رب الكائنات جميعاً .. بإغراء الوالدين على الخطيئة .. ومن بعدهما هابيل المغرر به .. وقبل الوالدين وقابيل هي الشيطان صاحب أول تمردٍ على الحقيقة الإلهية .. ملعونة هي .. ملعونة ...

.. كان الناس جميعا على الأرض .. مُتَسَمِّرون يستمعون مشدوهين إلى النطق الفاصل العظيم .. متجهين بأنظارهم إلى سطح بيت إيفيس .. حيث كيوبيد كان المتحدث إليهم بنطق إلهي بليغ .. تحيط به هالات من أنوار آلهة الأولمب الزرقاء .. لون إيفيس الذي يحب .. وعلى جناحيه الورديين حمل جثمان إيفيس الملفوف بجمال الحقيقة .. المتضمخ بعبير العدالة .. يرتدي هالات من جمال الرحمة والإنسانية كما خلقها الله .. لا كما أرادها أهل الشرور .. من أمثال إيفانيا الفانية .. التي لن تجني في حياتها الدنيا إلّا الفناء .. لاعناً بصوتٍ كُله حب .. إيفانيا التي لا تعرف الحب .. والتي كانت وستظل السبب الوحيد لغضب الآلهة عليها .. وقبل ذلك غضب الله الواحد الأحد .. الذي لم يلد ولم يولد .. ولم يكن له كفواً أحد ..

... في أقدس نور أنوار الأولمب سوف نُسجّي جثمان إيفيس الخالد .. الذي روحه ستظل مرفرفة أبداً في الدنيا الفانية .. تُذكِّرها بأنها الجريمة وأنها محبسها .. فيها تمارس ذاتها ضدَّ ذاتها وبذاتها سوف تُفني ذاتها .. لتذهب رفاتها إلى الجحيم .. حيث تستقبلها وحوش هيدز وأمراضه وعلله .. وليحرم عليها الموت .. وليبتعد عنها كلما اقترب منها .. لتظل في العذاب أبداً .. بما عملت على تعذيب الحياة وأهل الحياة من بني الإنسان .. منذ خلق الله الإنسان .. هذا كان نهاية

خطاب كيوبيد في الناس .. عندما علا صوت واهن ضعيف ..ينبعث من روح إيفيس .. المحمول على جناحي كيوبيد .. ينادي زيوس رب الأرباب .. متوسلاً إليه الرحمة بإيفانيا .. سائلاً إياه منحها السعادة .. وإلهامها الهدى والاستقامة .. لتخف نقمة الحق والحقيقة عليها .. ولتحولها لمستودع حبٍ وعطاء .. وانحدرت دمعتان سالتا من عيني كيوبيد الذي لا يبكي أبداً .. وكان هذا بكاؤه الأول .. وسيكون الأخير .. وهو يستمع إلى روح إيفيس .. تخاطب رب الأرباب زيوس .. طالباً الرحمة والغفران لمن أرداه ميتاً بالتعذيب .. لكن حشود الناس لم تكن مع إيفيس .. ولم تؤثر عليها دمعتا كيوبيد .. بل راحت تصرخ محمومة بشبه ثورة جنون ..: الموت للظالمة .. الموت للمجرمة .. الموت لإيفانيا .. وصاح شاب من الجمع .. إلى قصر إيفانيا نمزقها وندفنها فيه .. وهلل الجمع الثائر الهائج لذلك النداء .. واندفع متجهاً إلى حيث إيفانيا كانت ترقب كل هذه الأحداث تجري .. وهي على شرفة القصر .. هادئة باردة الأعصاب .. وكأن كل ما يجري من حولها لا يعنيها ..

-: جماهير ثائرة .. عقلها في أذنيها .. الثيران وحدها هي التي تثور وترغي وتزبد .. إنما نهايتها تكون حتماً على يدي جزّار عرف على مرِّ الأزمان .. كيف يعالجها حتّى يضعها تحت مديته .. كيوبيد هذا عاطفي

انفعالي .. وهو ابن فينوس أمه الجميلة .. التي لا تعرف في حياتها إلا الجمال .. بينما القبح أقوى وأقسى .. ولقد هُزمَ الجمال على مرٍّ العصور والدهور .. وأنا إيفانيا ليس بجمالي هزمت الجمال .. إنما بقبح القبيح واجهت جمال الجمال .. فكانت لي السيادة دائماً .. وكان للحق والخير والكمال والجمال الانهزام أبداً..

. وبينما كان الجمع الغاضب الثائر .. يتجه إلى قصر إيفانيا يريد تمزيقها .. سمع الناس لأول مرة إلهة الحكمة منيرفا تنادي في الغاضبين .. سائلة إياهم التوقف عن قتل إيفانيا التي هي الشر كل الشر والتحلّي بالحكمة .. لأن قتل الشر يعني انفراد الخير بالأكوان .. مما يجعله ينقلب إلى شرٍّ أشر من الشر الذي أبيد .. لقد خلق الله الأوحد الشر .. صيانة للخير حتّى يستمر خيراً متجدداً .. بضرورة مواجهته الدائمة لشرور الشر .. وحتّى قتل الشر في إيفانيا .. لن يكون في مصلحة الخير والأخيار .. وجمال الخير لا يمكن أن يظهر ويبين إلا بوجود الشر كنقيض له .. وجمال فينوس إلهة الجمال .. لا قيمة له ولا مكان .. إن لم يُواجه بالقبح الذي لولاه لما ظهر الجمال وبان .

... وضاع صوت الإلهة منيرفا وتلاشي .. في خضم غضبة الجماهير الهائجة الثائرة .. وكانت قد وصلت مقرَ إيفانيا .. واجتازت عتبات قصرها الشامخ المنيف .. المبني بحجارة من باطل الباطل .. سالب أقوات

الجماهير .. وبدأت بهدمه من الأساس .. لتجعل إيفانيا تنزل أمام أعينهم من علياء الباطل التي هي فيه .. ليتم تمزيقها بعد ذلك على ركام القصر الذي قام على الباطل . كل ذلك كان يحدث .. وإيفانيا تنظر إليهم من أعالي قصرها .. وقد تحولت ابتساماتها الهازئة الساخرة .. إلى قهقهة شيطانية مدوية .. لا تقول لهم إنهم إذ يعملون على دفنها .. إنما يدفنون أنفسهم بالخير الذي فيهم .. والخير الذي لا شرَّ يواجهه يتحول إلى شرٍ.. يُحَفِّز على ولادة خير يعمل على كبحه .. فإذا تمكن منه أخذ مكانه .. ليتحول بدوره إلى شرٍّ .. وجوده يُفْرِز خيراً .. وهكذا حتّى يوم الدينونة .. حيث الخير في الجنة ينعم .. والشر في الجحيم يقيم .. لا هذا أفنى ذاك ولا ذاك انتصر على هذا .. سنة رب العالمين في خلقه .. كي يستقيم .. ولن يستقيم بوجود الشيطان الرجيم .. سيد التسلط والمتسلطين على عباده .. حتّى يوم الدين .

... روح إيفيس التي كانت تحوم فوق جسده .. المُسَجَّى على جناحي كيوبيد .. وقد شهدت الجمع متجهة إلى قصر إيفانيا .. الذي شهد عذابه بصلفها وتحجرها .. تريد هدمه ودفنه تحت أنقاضه .. تركت جسدها بأيدي كيوبيد الحانية .. وحلقت تريد الأولمب .. متوسلة للرب زيوس لينقذ إيفانيا من أيدي الثوار .. لا رحمة بالثوار المضطهدين بإيفانيا .. بل بما سيلي الذي سيكون أمر وأقسى .. ومن ثم عادت إلى الأرض حيث

كان موكب الآلهة الحزين المكلوم بموت إيفيس .. قد اتجه بجثمانه إلى جبال الأولمب .. تتمسح بالآلهة كيوبيد وفينوس .. وأورورا وسيريز .. وبلوتو وأبوللو .. وهيدز وديانا ومينيرفا .. طالبة الرحمة لإيفانيا .. لها راجية الغفران .. في الوقت الذي تعرف فيه أنها ستظل تلك الظلوم .. التي تعيش على دماء البشر وأشلائهم .. ولا رد ولا جواب لتوسلات إيفيس .. المتضرر بالموت من إيفانيا .. من الآلهة المصرة على ترك الجموع تقضي على إيفانيا .

.. ورفقاً بروح إيفيس قرر زيوس رب الأرباب .. بعد أمر واردٍ من الأعالي .. حيث الله الواحد الأحد .. أن لا تموت إيفانيا أبداً .. على أن يكون لها ما هو أقسى من الموت .. ذلك لأن الموت راحة للإنسان من عذاب الدنيا .. ومرحلة تسبق الحياة الخالدة الأبدية .. ماذا كان قرار زيوس .. زيوس نادى في الجماهير ..

: إيفانيا ستبقى حية .. تعيش في جسدٍ من مرمر .. وقلب ينبض بكل دفء نور الأولمب وناره .. ترى النور ولا تتمتع به لطغيان النار على النور .. العذاب الدائم المستمر لإيفانيا سيكون إلى الأبد . ولا حدَّ ولا حدود للأبد . وفي تلك اللحظة كانت إيفانيا .. قد توقفت عن الضحك والقهقهة .. مذهولة ساخرة من الجماهير الغاضبة الناقمة .. وهي تستمع إلى الحكم الذي أصدره

عليها زيوس رب الأرباب .. والدهشة بادية عليها من قمة رأسها إلى أخمص قدميها .. عبر ساقيها الرخاميين اللذان كانا ينبضان بالحياة والشهوة تبعثها في القلوب والنفوس .. سلاحها الأفضل لديها .. إيفانيا تحولت في تلك اللحظة .. بعد صدور الحكم عليها إلى تمثال من مرمر لا حراك فيه .. في الآن الذي تحوَّل فيه قلبها .. من طبيعته المرمرية .. إلى كتلة تخفق وتنبض .. ملتهبة بالنور والنار .. اللذان كان قد قررهما لها زيوس رب الأرباب .. في الحكم الذي أصدره عليها .

... هنا خرَّت الجموع سجداً .. شكراً لله الواحد الأحد .. الذي ألهم زيوس رب الأرباب .. ذلك الحكم الإلهي العادل فيها .. للحد من شرورها بالناس .. متمنياً على إله رب الأرباب أن لا يبعث في عباده من هو الشر المحبوس في جسد إيفانيا المرمري .. كان قلبها مرمرياً .. فصار جسدها هو المرمر .. كانت تتمتع بجسدها وقلبها من حجر .. واليوم لها قلب ينبض .. وراء قضبان من مرمر .. الألم والحسرة سيخلدان مع خلودها .. فلا هى تموت ولا هي تحيا ..

-: عادل أنت يا الله .. يا رب زيوس وآلهته والأكوان أجمعين .

تعالى صياح الجماهير وهي ترى إيفانيا في جسدها المرمري وعلى وجهها وساقيها الدهشة .. والذهول بادٍ في عينيها السجينتين .. وراء قضبان من حقدها وشرورها ..لا تستطيعان تجاوز تلك القضبان .

وبينما كان موكب الآلهة .. يتقدمه إله الحب كيوبيد حاملاً على جناحيه جثمان الخالد إيفيس .. مرتقياً درب النور في طريقه إلى أعالي الأولمب .. في مسيرته الحزينة المموسقة بالحان إلهية ..على ما صار إليه حال إيفيس .. كانت روح إيفيس تنتحب عند أقدام تمثال إيفانيا المرمري .. محاولة أن تبعث فيها دفء الحياة من جديد .. لماذا هذا يا إيفيس .. أتُسعد أنت بالعذاب ..؟ ولأول مرة لمعت عينا التعسة إيفانيا من وراء قضبان الشر المحتجزة وراءها .. مُقِرَّة بالشرور التي هي فيها وعليها .. معلنة بدمعتين متجمدتين وراء القضبان .. أنها لو عادت من جديد إلى دنيا عالم إيفيس .. لما كانت إلا إيفانيا التي كانت أيام إيفيس .. وهي من وراء القضبان التي تحبسها .. ستواصل رسالتها الشريرة .. وهي تعلم بالخير الذي سيتوالد لمواجهتها .. لمواجهة قلب حي في جسد مرمري .. لم تستطع أنفاس روح إيفيس .. أن تبعث فيه الحياة من جديد .

كتب للمؤلف

جزيرة وملك
سيرة المرحوم فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية
الطبعة الأولى 1964 نفذ الطبعة الثانية 1966 نفذ

درب الانتصار
في الدعوة السلفية للإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب
الطبعة الأولى 1965 نفذ الطبعة الثانية 1967 نفذ

قال الجد لأحفاده :
سلسلة سِيَر لأربعين شخصية رافقت وتلت ظهور المحمدين محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود .. منذ بدء انطلاق الدعوة السلفية عام 1744 .. وحتى ظهور الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود عام 1902 .. وتوحيده ما تم توحيده من شبه الجزيرة العربية .. تحت اسم المملكة العربية السعودية في 23 أيلول من عام 1933م

الشرق الجديد :
جريدة في مجلة ومجلة في جريدة .. صدرت عن لندن أوائل عام 1973 .. واستمرت تصدر ورقياً دون انقطاع .. حتى حزيران 2006 مجموعات كاملة متوفرة عند الطلب .. وما زالت تصدر على الشبكة العنكبوتية على الرابطين التاليين :

http://alsharkaljadid.maktoobblog.com
http://alsharkaljadid.blogspot.com

شباب حتى النهاية
دليل الشباب الدائم المستمر .. حتى آخر العمر الطبعة الأولى شباط 2010

كتب تحت الطبع :

الحق يأكل على مائدة الباطل
استعراض للماضي في الحاضر من أجل المستقبل

حتى نستقيم
مجموعة مقالات في ستة أجزاء تؤرخ وتعالج الأحداث التي مرّ ويمر بها العالم .. وعلى الأخص العالمان العربي والإسلامي .

رقم الإيداع : ٢٠١٠/٤١٩٠
الرقم الدولى : 977-5264-15-9

مع تحيات
مطابـــع السفـــير
٤ ش الصحافة - المنشية
ت : ٤٨٠٣٩٦٤

أديب بالزور ..

لن أموت
على الرصيف الأيسر

الآنسة 99

شقيقة جو

القلب المرمري



الثمن
١٥ جنيه مصرى
أو ما يعادله